بيان طرق المخالفين

للطعن في السنة والإسلام

لفضيلة الشيخ

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الزعكري

حفظه الله تعالى

بيان طرق المخالفين

للطعن في السنة والإسلام

لفضيلة الشيخ
أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الزعكري
حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان طرق المخالفين للطعن في السنة والإسلام

الطبعة الثانية

١٤٤٦هـ

تأليف فضيلة الشيخ:

أبي محمد عبد الحميد بن زيد الحجوري الزُّعكري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده العالم بما أخفيه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم.

أما بعد:

فكان الله عز وجل قد من عليَّ بخطبة جمعة ألقيتها في دار الحديث بدماج في ٢٧/ رمضان/ ١٤٢٩هـ، أسميت بـ(**تحذير المسلمين من طرق الصادين عن حملة العلم والدين**)، ثم منَّ عليَّ ربي فأفضل بتأليف كتاب (**المبحث البديع في أسباب وآثار وحلول التمييع**) فجعلت فيه فصلًا لأساليب المخالفين ، وكانت لي همة قديمة في الكتابة في هذا الباب ، فبدا لي أن جعل هذا المؤلف المستقل – وأصله ما تقدم مع الإضافة إليه – ، فالله عز وجل أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه ، دفاعًا عن دينه وحملته، إنه ولي ذلك.

وهذا الموضوع في الأهمية بمكان من باب التصدي لشرور المخالفين؛ ولهذا كان القرآن والسنة مليئين بالتحذير من طرق هؤلاء المخالفين كما سترىٰ إن شاء الله.

كتبه:

أبو محمد عبدالحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري.

دين الإسلام حق بين باطلين وهدى بين ضلالتين

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

والمتمسكون بالإسلام الحق الذي أنزله الله عز وجل وشرعه هم الوسط الخيار، وهم أصحاب الخيرية، وهم المنعم عليهم.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣] والوسط: العدل الخيار. وفي البخاري من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ، فَتَشْهَدُونَ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قَالَ: «عَدْلًا» ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

وقال الله عز وجل: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وقال الله تعالىٰ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠].

والكلام علىٰ خيرية أهل السنة وفضلهم جميل وجليل، لكن قد تكلمنا عن فضائل الأمة بتوسع في كتابي (الزجر والبيان لدعاة الحوار والتقارب بين الأديان) وأهل السنة داخلون دخولًا أوليًّا في هذا الباب، والحمد لله.

فهم أهل الفقه والنظر، والخير والأثر، الّذين هم ملازمون لطريقة المعصوم محمّد ﷺ. وأمّا غيرهم فقد غيّر وبدّل، ويكون بُعْدُه وقربه بقدر ما هو عليه من

التنكّب عن الكتاب والسنّة، واستحقوا هذا الوصف للعدالة التي لازموها في أقوالهم وأفعالهم بعيدًا عن طرق النصارىٰ الضالين الذين غلو حتّىٰ بلغ بهم الغلوّ أن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله عز وجل، وألّـهُوا عيسىٰ عليه السلام، فقال الله عزّ وجلّ ناهيًا لهم عن هذا الصنيع الذميم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء:١٧١]، وقال تعالىٰ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة:٧٧].

قال شيخ الإسلام في «الجواب الصحيح» (٢/ ١٠٠): (ومن تدبّر حال اليهود والنصارىٰ مع المسلمين وجد اليهود والنصارىٰ متقابلين هؤلاء في طرف ضلال وهؤلاء في طرف يقابله والمسلمون هم الوسط وذلك في التوحيد والأنبياء والشرائع والحلال والحرام والأخلاق وغير ذلك). اهـ

وقال ابن كثير: (ينهىٰ تعالىٰ أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارىٰ، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسىٰ ﷺ، حتىٰ رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلىٰ أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه علىٰ دينه، فادَّعوْا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقًا أو باطلا أو ضلالا أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَانَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]). اهـ

وأمّا اليهود فقد وقع منهم الجفاء حتىٰ قتلوا الأنبياء، قال الله عزّ وجلّ ﴿فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾ [المائدة:٧٠].

هذا في جانب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ووقع منهم الغلو في عزير حتىٰ ألَّـهُوه قال الله ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة:٣٠] فكلّ من الفريقين اليهود المغضوب عليهم والنصارىٰ الضالون وقع منهم الغلو من جانبيه.

قال الشنقيطي- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ - في «أضواء البيان»: (وعليه فيكون الغلو المنهي عنه شاملا للتفريط والإفراط). اهـ

وقال الشوكاني - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ - في «فتح القدير» (١/ ٦٣٣): (والمراد بالآية النهي لهم عن الإفراط تارة والتفريط أخرىٰ فمن الإفراط غلو النصارىٰ في عيسىٰ ﷺ حتىٰ جعلوه ربًا ومن التفريط غلو اليهود فيه حتىٰ جعلوه لغير رشده). اهـ

وكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم الأئمة الأعلام علىٰ غاية من الأخذ بالدين الحق، في العبادات، والمعاملات، فكانوا أبر الناس قلوبًا، وأعظم برًّا، وأشدهم تمسكًا، صوّامين، قوّامين، مجيبين للخير وناشرين، ما من خير إلا وسبقونا إليه، وما من شرٍّ إلا وحذرونا منه؛ تبليغًا لما تلقوه من صاحب البلاغ المبين، محمد الأمين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم والتابعين، بعيدين كل البعد عن الغلو والجفاء، حتىٰ خلف من بعدهم خلفٌ يقولون ما لا يفعلون ويلبسون الحقّ بالباطل، قال رسول الله ﷺ عن بعضهم: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه من حديث علي رضي الله عنه. البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦). فهذا حال الخوارج.

كفّروا المسلمين وخرجوا علىٰ أئمّة الدين، فلمّا وقع الخوارج في هذه البليّة العظيمة المخالفة للطريقة المستقيمة، ظهرت بالمقابل فرقة أخرىٰ ميّعوا الدين وفرّطوا في الأوامر واستهانوا بأمر الكبائر فزعموا أنّ السارق والزاني والفاسق والمغنّي إيمانه كامل علىٰ إيمان جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام، وعلىٰ

إيمان أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما فوقع بسببهم بلاء عظيم وخطر عظيم، كان تأثيره في البعد عن شرائع الدين أعظم من تأثير الخوارج حتىٰ قال إبراهيم النخعي رحمه الله كما عند ابن سعد في «**الطبقات الكبرى**» (٦/ ٢٧٤): (لأنا علىٰ الأمة من هؤلاء -يعني المرجئة- أخوف من عدتهم من الأزارقة -يعني الخوارج-). وأخرج عبدالله بن أحمد في «**السنة**» (٧٣٣) عن يحيىٰ بن أبي كثير وقتادة قالا: (ليس من الأهواء أخوف عندهم علىٰ الأمة من الإرجاء). وأخرج رقم (٢٥٨) عن مغيرة بن مقسم كان يقول: (والله الذي لا إله إلا هو ما أعرف منه شر منهم) قيل لأبي بكر: يعني المرجئة؟ قال: المرجئة وغير المرجئة.

وغلت الجبرية في إثبات القدر حتىٰ زعموا أن الفاعل حقيقة هو الله عز وجل تعالىٰ عن قولهم علوًا كبيرًا والإنسان إنما هو كالريشة في مهب الريح أو الميت بين يدي مغسله.

وبالمقابل غلت النفاة من القدرية في إثبات أفعال العباد حتىٰ زعمت أن المخلوق المربوب هو خالق فعله وأنّ الله عزّ وجلّ ليس بخالقٍ للشرّ وأخرجوا أفعال العبد من عموم قول الله تعالىٰ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر:٦٢]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

وغلت الجهمية في جانب التنزيه زعموا، وهو التعطيل، فزعموا أن لهم ربًّا لا فوق ولا تحت ولا داخل العالم ولا خارج عنه ولا حيّ ولا ميّت وهكذا، وعند التحقيق تجد أنّ هذا ربًّا لا وجود له وإنّما هو العدم ووافقتهم المعتزلة في نفي الصفات وخالفوهم في إثبات الأسماء.

وفي الضدّ قابلتهم طائفة الممثلة فغلوا في الإثبات حتىٰ زعموا أن الله عز وجل له صفات كصفات المخلوقين المربوبين المحتاجين الناقصين تعالىٰ الله عن قولهم علوا كبيرا ولم يلتفتوا إلىٰ مثل قول الله تعالىٰ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقوله ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص:٤].

مع أنّ أهل السنّة الطائفة المنصورة الفرقة الناجية أثبتوا لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل له صفات تليق بجلاله سبحانه وتعالىٰ، كما أنه لا مثيل له في ذاته فكذلك لا مثيل له في صفاته.

وهكذا دواليك كل فرقةٍ من فرق الضلال في الغلو، تضادهم فرقة من فرق الضلال في الجفاء والتميُّع بل وأهل الغلو والتمييع تجد عند كل فريق منهم غلو من وجه وتميُّع من وجه آخر.

وفريقٌ بين ذلك، وهم عوام المسلمين الذي هم أتباع كل ناعق، يأخذون من هذا وذاك، فصار الدين غريبًا كما أخبر النبي ﷺ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**» أخرجه مسلم (١٤٥) عن أبي هريرة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، وأخرجه (١٤٦) عن ابن عمر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا –.

وفي الترمذي (٢٢٦٠): عن أنس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ**».

وقال القاسم بن سلام: (المتبع للسنة كالقابض علىٰ الجمر، وهو أليق عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله). قال العلامة الألباني رحمه الله : (هذا في زمانه، فماذا يقول في زماننا).

مع هذا كله فلا زال في الناس بقية صالحة يدعون من ضل إلىٰ الهدىٰ، ويهدونهم من العمىٰ، ويُحيون بكتاب الله الموتىٰ، وهم أهل السنّة، الذين هم وسط بين طرفين، وهدىٰ بين ضلالتين، وحقٌّ بين باطلين، خرجوا من بين فرث الغلو ودم التميُّع لبنًا سائغًا للشاربين؛ لأنّهم عملوا بقول الله عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة:٢٠٨].

أما أهل البدع فإنما يأخذون ما وافق أرائهم وأيد أفكارهم فحادوا وزاغوا عن الصراط المستقيم والطريق القويم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واتبعوا سبيل المعرضين الضالين الذين أمرنا الله بالبعد عنهم بقوله ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الروم:٣١].

ويجب أن يُعلم أن هذا السبيل الذي ندعو إليه ونحذّر من مخالفته هو طريق رسول الله ﷺ فكان اللازم الدفاع عنه والدعوة إليه وتعلّمه وتعليمه لعلّ الله أن ينقذ به من يشاء.

مع أن السعادة كل السعادة كما قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا**» الحديث أخرجه أبوداود (٤٢٦٣) عن المقداد بن الأسود، وهو في «**الصحيح المسند**».

وتجنب الفتن يكون بأسباب، منها: طلب العلم النافع، وملازمة العمل الصالح، ففي حديث معقل بن يسار «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**» أخرجه مسلم (٢٩٤٨).

وتكون بالبعد عن الفتن واتخاذ الملاجئ الشرعية، ففي الصحيح من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ، أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ**» أخرجه مسلم (٢٨٨٧).

ومن أسباب السلامة من الفتن البعد عنها وعدم غشيانها، ومنها دعاء الله عز وجل واللجوء إليه، وقد ذكرت شيئًا من هذه الأسباب بأدلته في كتابي «**تحذير العقال من فتنة المسيح الدجال**»، أعاذنا الله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وأخبر الله عز وجل أن السعادة في طاعته وطاعة رسوله ﷺ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩].

وأمر الله عز وجل بالاستجابة لأمره وأمر رسوله ﷺ قال تعالىٰ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال:٢٤]، فالاستجابة لله عز وجل ولرسوله ﷺ حياة للقلوب والأديان والأبدان دنيا وأخرىٰ.

ويقول الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١]، فطاعة الرسول ﷺ طاعة لله عز وجل ولذي أرسله، قال الله عز وجل ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

ولما كان الأمر هكذا، لأن النبي ﷺ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤].

وقد أتم الله له الدين، قال تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، ويقول الله عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وهذا الكتاب الذي ما فرط الله عز وجل فيه قال عنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

وأخبر النبي ﷺ أَنَّهُ تَرَكَنَا عَلَىٰ مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ. رواه ابن ماجه (٥) عن أبي الدرداء، وعن العرباض بن سارية (٤٤) واللفظ له - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما -.

وأخبر النبي ﷺ أن الخير كل الخير في طاعته واتباعه، فقال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». رواه البخاري (٧٢٨٠)، ومسلم (١٨٣٥) عن أبي هريرة ﷺ.

وعند أحمد (٥/ ١٥٣) من حديث أبي ذر ﷺ قال: لَقَدْ تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَذْكَرَنَا مِنْهُ عِلْمًا.

وفي مسلم (٢٦٢) عَنْ سَلمَانَ ﷺ قَالَ: قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ الْخِرَاءَةَ! قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ. الحديث

إلىٰ غير ذلك مما يدل علىٰ كمال الدين وشموله وحفظه، ومع ذلك قال رسول الله ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً». أخرجه أبوداود (٤٥٩٦) عن ابي

هريرة ﷺ، والحديث جاء عن معاوية ﷺ وفيه زيادة: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» والحديث له طرق ليس هذا موطن بسطها، المهم أنه حديث محتج به، ولا أعلم ممن له جلالة وقدر طعن فيه، إلا ما كان من الإمام محمد بن إبراهيم الوزير والإمام الشوكاني من حيث أنهم زعموا نكارةً فيه، وهذه النكارة ليست علىٰ ما يقولون، فقد ردَّ هذه الشبهة العلامة المَقْبَلِيُّ صاحب كتاب «العَلَم الشامخ»، ونقلها عنه الإمام الألباني في كتابه «الصحيحه» عند حديث رقم (٢٠٤) حيث قال - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ -: «أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ».

قال رحمه الله تعالىٰ في «العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ» صـ(٤١٤): (حديث افتراق الأمة إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة، رواياته كثيرة يشد بعضها بعضا بحيث لا يبقىٰ ريبة في حاصل معناها. (ثم ذكر حديث معاوية هذا، وحديث ابن عمرو بن العاص الذي أشار إليه الحافظ العراقي وحسنه الترمذي ثم قال: والإشكال في قوله: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً»، فمن المعلوم أنهم خير الأمم، وأن المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة، مع أنهم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود حسبما صرحت به الأحاديث، فكيف يتمشىٰ هذا؟ فبعض الناس تكلم في ضعف هذه الجملة، وقال: هي زيادة غير ثابتة. وبعضهم تأول الكلام. قال: ومن المعلوم أن ليس المراد من الفرقة الناجية أن لا يقع منها أدنىٰ اختلاف، فإن ذلك قد كان في فضلاء الصحابة. إنما الكلام في مخالفة تصير صاحبها فرقة مستقلة ابتدعها. وإذا حققت ذلك فهذه البدع الواقعة في مهمات المسائل، وفيما يترتب عليه عظائم المفاسد لا تكاد تنحصر، ولكنها لم تخص معينا من هذه الفرق التي قد تحزبت والتأم بعضهم إلىٰ قوم وخالف آخرون بحسب مسائل عديدة.

ثم أجاب عن الإشكال بما خلاصته: إن الناس عامة وخاصة، فالعامة آخرهم كأولهم، كالنساء والعبيد والفلاحين والسوقة ونحوهم ممن ليس من أمر الخاصة في شيء، فلا شك في براءة آخرهم من الابتداع كأولهم.

وأما الخاصة، فمنهم مبتدع اخترع البدعة وجعلها نصب عينيه، وبلغ في تقويتها كل مبلغ، وجعلها أصلا يرد إليها صرائح الكتاب والسنة، ثم تبعه أقوام من نمطه في الفقه والتعصب، وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها وحملوه ما لم يتحمله، ولكنه إمامهم المقدم وهؤلاء هم المبتدعة حقا، وهو شيء كبير ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾، كنفي حكمة الله تعالىٰ، ونفي أقداره المكلف، وككونه يكلف ما لا يطاق، ويفعل سائر القبائح ولا تقبح منه، وأخواتهن! ومنها ما هو دون ذلك، وحقائقها جميعها عند الله تعالىٰ، ولا ندري بأيها يصير صاحبها من إحدىٰ الثلاث وسبعين فرقة.

ومن الناس من تبع هؤلاء وناصرهم وقوىٰ سوادهم بالتدريس والتصنيف، ولكنه عند نفسه راجع إلىٰ الحق، وقد دس في تلك الأبحاث نقوضها في مواضع لكن علىٰ وجه خفي، ولعله تخيل مصلحة دنيئة، أو عظم عليه انحطاط نفسه وإيذاؤهم له في عرضه وربما بلغت الأذية إلىٰ نفسه. وعلىٰ الجملة فالرجل قد عرف الحق من الباطل، وتخبط في تصرفاته، وحسابه علىٰ الله سبحانه، إما أن يحشره مع من أحب بظاهر حاله، أو يقبل عذره، وما تكاد تجد أحدا من هؤلاء النظار إلا قد فعل ذلك، لكن شرهم والله كثير، فلربما لم يقع خبرهم بمكان، وذلك لأنه لا يفطن لتلك اللمحة الخفية التي دسوها إلا الأذكياء المحيطون بالبحث، وقد أغناهم الله بعلمهم عن تلك اللمحة، وليس بكبير فائدة أن يعلموا أن الرجل كان يعلم الحق ويخفيه. والله المستعان.

ومن الناس من ليس من أهل التحقيق، ولا هيء للهجوم علىٰ الحقائق، وقد تدرب في كلام الناس، وعرف أوائل الأبحاث، وحفظ كثيرا من غثاء ما حصلوه ولكن أرواح الأبحاث بينه وبينها حائل. وقد يكون ذلك لقصور الهمة والاكتفاء والرضا عن السلف لوقعهم في النفوس. وهؤلاء هم الأكثرون عددا، والأرذلون قدرا، فإنهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة، ولا أدركوا سلامة العامة. فالقسم الأول من الخاصة مبتدعة قطعا. والثاني ظاهره الابتداع، والثالث له حكم الابتداع.

ومن الخاصة قسم رابع ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين، أقبلوا علىٰ الكتاب والسنة وساروا بسيرها، وسكتوا عما سكتت عنه، وأقدموا وأحجموا بهما وتركوا تكلف ما لا يعنيهم، وكان تهمهم السلامة، وحياة السنة آثر عندهم من حياة نفوسهم، وقرة عين أحدهم تلاوة كتاب الله تعالىٰ، وفهم معانيه علىٰ السليقة العربية والتفسيرات المروية، ومعرفة ثبوت حديث نبوي لفظًا وحكمًا.

فهؤلاء هم السنية حقًا، وهم الفرقة الناجية، وإليهم العامة بأسرهم، ومن شاء ربك من أقسام الخاصة الثلاثة المذكورين، بحسب علمه بقدر بدعتهم ونياتهم.

إذا حققت جميع ما ذكرنا لك، لم يلزمك السؤال المحذور وهو الهلاك علىٰ معظم الأمة، لأن الأكثر عددًا هم العامة قديمًا وحديثًا، وكذلك الخاصة في الأعصار المتقدمة، ولعل القسمين الأوسطين، وكذا من خفت بدعته من الأول، تنقذهم رحمة ربك من النظام في سلك الابتداع بحسب المجازاة الأخروية، ورحمة ربك أوسع لكل مسلم، لكنا تكلمنا علىٰ مقتضىٰ الحديث ومصداقة، وأن أفراد الفرق المبتدعة وإن كثرت الفرق فلعله لا يكون مجموع أفرادهم جزءًا من ألف جزء من سائر المسلمين: فتأمل هذا تسلم من اعتقاد مناقضة الحديث لأحاديث فضائل الأمة المرحومة).

الأمر بلزوم الجماعة والاتباع، والنهي عن الفرقة والابتداع

الجماعة: هي جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون ومن سار علىٰ سيرهم إلىٰ يوم الدين.

وسموا بالجماعة لاجتماعهم علىٰ الخير والصلاح، والهدىٰ والفلاح، المتمثل في أخذ الكتاب والسنة علىٰ فهم صفوة الأمة، ومن سار علىٰ سيرهم من الأئمة.

وقد أمر ربنا سبحانه وتعالىٰ بلزوم الجماعة، ونهىٰ عن الفرقة، فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

وحث رسول الله ﷺ علىٰ الجماعة؛ لما فيها من نصرة الدين وظهور الحق المبين، ففي حديث عمر ﷺ عند الآجري في «الشريعة» (٦)، و«السنة» لابن أبي عاصم ص(٨٨)، وأحمد (١/ ١٨) أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ».

وبحبوحة الجنة: وسطها كما في «النهاية».

وفي حديث الحارث الأشعري ﷺ عند الترمذي (٢٨٦٣)، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالجِهَادُ، وَالهِجْرَةُ، وَالجَمَاعَةُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ. وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ: المُسْلِمِينَ المُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ».

ولما كانت الجماعة في الأهمية بمكان قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». أخرجه مسلم (١٨٤٨) عن ابي هريرة ﷺ.

وتكمن أهمية الجماعة في كونها محفوظة من الاجتماع علىٰ الخطإ بعصمة الكتاب والسنة، قال أبومسعود ﷺ عليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمة محمد ﷺ

علىٰ ضلالة. أخرجه ابن أبي عاصم (٨٥). وجاء مرفوعًا عن ابن عباس ﷺ أخرجه الحاكم (١/ ١١٦).

والجماعة هي الإسلام الحق، والسنة تدل علىٰ ذلك.

أخرج أحمد (٣/ ٣٩٧) وغيره عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَفَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ! لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ. وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ تَعَالَى، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ**».

وقال عبدالله بن مسعود كما في «**الشريعة**» رقم (١٦): (إن هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين، ينادون، يا عبد الله هلم هذا الصراط، ليصدوا عن سبيل الله تعالىٰ، فاعتصموا بحبل الله تبارك وتعالىٰ. فإن حبل الله عز وجل هو كتاب الله جل وعلا).

ولا معرفة للصراط الحق إلا بالعلم النافع الذي هو علم الكتاب والسنة علىٰ ما قرره علماء الأمة.

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب النجدي: والعلم هو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

وقد بين رسول الله ﷺ أن الخيرة في هذا العلم، ففي الصحيحين البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**».

وأخرج الآجري رقم (١٩) عن أبي العالية قوله: (تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنة نبيكم ﷺ والذي عليه أصحابه، فإنا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين

الناس العداوة والبغضاء. فحدثت به الحسن فقال: صدق ونصح. وحدثت به حفصة بنت سيرين، فقالت: أحدثت بهذا محمدًا؟ قلت: لا. قالت: فحدثه إذًا).

فالواجب علىٰ المسلمين الاعتصام بالكتاب والسنة، ولن يتم ذلك إلا بالبعد عن الافتراق والبدعة وملازمة الاتباع.

قال الله عز وجل: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] لا يضل في الدنيا ولا يشقىٰ في الآخرة. هكذا فسرها السلف.

باب بيان أن سبب الاختلاف والافتراق هو الأخذ بسنن المتقدمين من اليهود والنصارى مع بيان غيرها من الأسباب

الله عز وجل هو العالم بالمصالح وأسبابها وأسباب الفساد؛ ولهذا حذر الله عز وجل من أسباب الضلال، ومن أعظمها موافقة اليهود والنصارىٰ ومشابهتهم، وأخبر الله عز وجل أن الطريق الحق هو صراطه الذي هو الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

والذين أنعم الله عز وجل عليهم هم المذكورون في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء:٦٩].

والمغضوب عليهم هم اليهود، قوم عرفوا الحق وتركوه، فوقعوا فيما وقعوا فيه من الشرك.

والضالون النصارىٰ، قوم عبدوا الله عن جهل، فوقعوا فيما وقعوا فيه من الشرك.

ولهذا بين النبي ﷺ أسباب ضلال هذه الأمة، ومنها ما تقدم. فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «**فَمَنْ**». رواه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ -: السنن بفتح السين والنون وهو الطريق والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر. اهـ

وفي البخاري (٧٣١٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ**» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: «**وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ؟!**».

قال محمد بن الحسن الآجري - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ - في «الشريعة» بعد رقم (٣٥):

من تصفح أمر هذه الأمة من عالم عاقل، علم أن أكثرهم والعام منهم تجري أمورهم علىٰ سنن أهل الكتابين، كما قال النبي ﷺ، أو علىٰ سنن كسرىٰ وقيصر، أو علىٰ سنن الجاهلية، وذلك مثل السلطنة وأحكامهم في العمال والأمراء وغيرهم، وأمر المصائب والأفراح والمساكن واللباس والحلية، والأكل والشرب والولائم، والمراكب والخدام والمجالس والمجالسة، والبيع والشراء، والمكاسب من جهات كثيرة، وأشباه لما ذكرت يطول شرحها، تجري بينهم علىٰ خلاف السنة والكتاب، وإنما تجري بينهم علىٰ سنن من قبلنا، كما قال النبي ﷺ. والله المستعان.

ما أقل من يتخلص من البلاء الذي قد عم الناس، وأن يميز هذا: إلا عاقل عالم قد أدبه العلم. اهـ

أقول: هذا في زمنه - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ -، فكيف لو رأىٰ حال الناس في هذه الأعصار وفي كثير من الأمصار، وقد تسلط الكفار، وقويت شوكتهم، فقلدهم الناس في الملبس والمأكل والمشرب وأمور الدول والجيوش والألعاب، فالله المستعان من غربة الزمان، ومع ذلك لن يزال هذا الدين عزيزًا منيعًا يحفظه الله عز وجل إنجازًا لوعده بالطائفة المنصورة والفرقة الناجية.

ومن أسباب الوقوع في الضلال أيضًا اتباع المتشابه من الأدلة لغرض رد الكتاب والسنة بدعوىٰ التعارض، وقد حذرنا رسول الله ﷺ من هذا الصنف كما في حديث عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**». رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

وقد ضل المبتدعة في باب الأسماء والصفات، وباب الإيمان باليوم الآخر من هذا الباب، حيث زعموا أن أدلته من باب المتشابه الذي لا يعمله إلا الله عز وجل والصحيح من الأقوال أن آيات وأحاديث الصفات من باب المحكم البيِّن الواضح.

ومن أسباب الضلال والانحراف عن طريق أهل الحق وعن سبيل السلف:

الجدل بالباطل، قال الله عز وجل: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر:٤]، وفي حديث أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾. أخرجه الترمذي (٣٢٥٣).

ويدخل في هذا الاختلاف في الكتاب والتخاصم بالباطل، ففي مسلم (٢٦٦٦) عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: هَجَّرْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ».

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ -: المُرَاد بِهَلَاكِ مَنْ قَبْلَنَا هُنَا هَلَاكهمْ فِي الدِّين بِكُفْرِهِمْ، وَابْتِدَاعهمْ، فَحَذَّرَ رَسُول الله ﷺ مِنْ مِثْل فِعْلهمْ. اهـ

ومنها: الغلو في الدين، فإنه سبب للهلاك والانحراف عن طريق السلف وطريق الاستقامة إلىٰ طريق الخلف، ففي مسلم (٢٦٧٠) عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا.

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ -: قَوْله ﷺ: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ) أَيْ: الْمُتَعَمِّقُونَ الْغَالُونَ الْمُجَاوِزُونَ الْحُدُود فِي أَقْوَالهمْ وَأَفْعَالهمْ. اهـ

والأدلة في النهي عن الغلو كثيرة؛ لما فيه من الهلكة علىٰ صاحبه لانقطاعه بعد ذلك، وعلىٰ غيره لأنه سبب لتنفيرهم وصدهم عن الخير. والغلو يكون بالتفريط والإفراط، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ

ﵟالۡحَقِّﵞ [المائدة:٧٧]، وأهل الكتاب يشمل اليهود والنصارىٰ، وكلهم غلا في عيسىٰ عليه السلام، فالنصارىٰ ألَّهوه، واليهود اتهموه أنه ولد زنا، والله المستعان.

ومن أسباب الهلكة: الفتور عن السنة وعن الطريقة السلفية، ففي حديث عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**» رواه الترمذي (٢٤٥٣)، وأحمد (٢/ ٢١٠) واللفظ له.

ومن أسبابها: علماء السوء وأصحاب الرأي والأقيسة الفاسدة، ففي البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**». وفي رواية للبخاري (٧٣٠٧): «**فيفتون برأيهم**».

باب الحث على لزوم السنة

قال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، والأسوة القدوة، والأسوة ما يتأسىٰ به، أي: يتعزَّىٰ به فيقتدىٰ به في جميع أفعاله، ويتعزىٰ به في جميع أحواله.

واختلف في هذه الأسوة بالرسول ﷺ هل هي علىٰ الإيجاب أو علىٰ الاستحباب؟ علىٰ قولين: أحدهما: علىٰ الإيجاب حتىٰ يقوم دليل علىٰ الاستحباب، والثاني: علىٰ الاستحباب حتىٰ يقوم دليل علىٰ الإيجاب. ويحتمل أن يحمل علىٰ الإيجاب في أمور الدين، وعلىٰ الاستحباب في أمور الدنيا. أفاده القرطبي.

والحق أن أمر النبي ﷺ يدل علىٰ الوجوب حتىٰ يصرفه صارف إلىٰ الاستجباب وغيره، ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ: رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**» أخرجاه في الصحيحين البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) واللفظ له.

وفي حديث عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - في الصحيحين البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**» وفي رواية لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ -: (الرَّدّ) هُنَا بِمَعْنَىٰ المَرْدُود، وَمَعْنَاهُ: فَهُوَ بَاطِل غَيْر مُعْتَدّ بِهِ.

وَهَذَا الْحَدِيث قَاعِدَة عَظِيمَة مِنْ قَوَاعِد الْإِسْلَام، وَهُوَ مِنْ جَوَامِع كَلِمه ﷺ فَإِنَّهُ صَرِيح فِي رَدّ كُلّ الْبِدَع وَالمُخْتَرَعَات.

وَفِي الرِّوَايَة الثَّانِيَة زِيَادَة وَهِيَ أَنَّهُ قَدْ يُعَانِد بَعْض الْفَاعِلِينَ فِي بِدْعَة سَبَقَ إِلَيْهَا، فَإِذَا اُحْتُجَّ عَلَيْهِ بِالرِّوَايَةِ الْأُولَىٰ يَقُول: أَنَا مَا أَحْدَثْت شَيْئًا فَيُحْتَجّ عَلَيْهِ بِالثَّانِيَةِ الَّتِي فِيهَا التَّصْرِيح بِرَدِّ كُلّ المُحْدَثَات، سَوَاء أَحْدَثَهَا الْفَاعِل، أَوْ سَبَقَ بِإِحْدَاثِهَا.

وَفِي هَذَا الْحَدِيث: دَلِيل لِمَنْ يَقُول مِنَ الْأُصُولِيِّينَ: إِنَّ النَّهْي يَقْتَضِي الْفَسَاد. وَمَنْ قَالَ: لَا يَقْتَضِي الْفَسَاد يَقُول هَذَا خَبَر وَاحِد، وَلَا يَكْفِي فِي إِثْبَات هَذِهِ الْقَاعِدَة الْمُهِمَّة، وَهَذَا جَوَاب فَاسِد.

وَهَذَا الْحَدِيث مِمَّا يَنْبَغِي حِفْظه وَاسْتِعْمَاله فِي إِبْطَال الْمُنْكَرَات، وَإِشَاعَة الِاسْتِدْلَال بِهِ. اهـ

أصناف المخالفين لمنهج السلف وطريقة أهل الاستقامة

١- الكفار المشركون عبدة الأوثان ومن إليهم.

٢- كفرة أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارىٰ.

٣- المنافقون الاعتقاديون ومن إليهم من الرافضة والقرامطة والجهمية.

٤- أهل البدع والأهواء الذين ينتسبون إلىٰ ملة الإسلام.

وكل من هذه الأصناف عندهم من البعد والشقاق ما يوجب لهم الخلود في النار، إلا أهل البدع والاهواء غير المكفرة، فإنهم تحت المشيئة، وعندهم من الخير بقدر ما عندهم من الإسلام، وأما الثلاثة الأصناف المتقدمة فهم كفار، وفي نار جهنم خالدين فيها أبدًا، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦]، وقال الله عز وجل في المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

وأما أهل البدع من أهل الإسلام فإنهم تحت المشيئة، إما أن يتجاوز الله عز وجل عنهم ابتداءً، وإما أن يُمَحَّصُوا ثم يدخلون الجنة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨،١١٦].

ومع ذلك، البدع ضررها عظيم، ففي الحديث: «**إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ**»، ويقول رسول الله ﷺ: «**وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**».

ومع ذلك فإن المخالفات الشرعية غير مقبولة من أحدٍ من كان، و تكون البراءة من كل مخالف لشرع الله عز وجل بحسبها، والتلبيس والضرر في المنهج السلفي يقع من أهل الملة أكثر مما يقع من أهل الشرك والإلحاد، لأسباب، منها:

إحسان الناس الظن بهم؛ لأنهم من أهل الإسلام، ولأنهم أعرف بالشبه من أولئك، ولأنهم يتكلمون باسم الإسلام.

وكل من خالف الدين مخالفة مطلقة فهو ماكر بالدين وحملته، وكل من كان عنده مطلق مخالفة فعنده من الضرر بقدر ما عنده من المخالفة، فنسأل الله عز وجل أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يبصرنا بديننا، إنه ولي ذلك.

فعلينا جميعًا أن نتمسك بكتاب الله عز وجل، وبسنة النبي ﷺ على فهم السلف الصالح، بعيدين عن المشاقة والمعاندة والجدال بالباطل، بعيدين عن الغفلة، سالكين لسبيل العلم والدين، بعيدين عن سبيل أهل الجهل والمخالفين، فإذا فعلنا ذلك دخلنا في قول الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وإن خالفنا دخلنا في قوله الله عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

أساليب الصادين عن حملة العلم والدين

كل من حاول الوصول إلىٰ أمر من الأمور الدقيقة أو العظيمة اتخذ أساليب توصله إلىٰ ما يريد ويرجو، وقد اتخذ المخالفون من الكفار والمنافقين والمبتدعة الضالين من الأساليب ما يعجز القلم عن حصرها، وتكثر الأوراق برسمها، وتضيق الأوقات بكتابتها؛ لأنه طريق سلكه المبطلون من المتقدمين والمتأخرين من الكافرين والمبتدعين، لكن نذكر هنا أعظم الأساليب المسلوكة من قبل هذه الشلة المخالفة للملة:

١- المكر والكيد:

والمكر هو إيصال المكروه إلىٰ الإنسان من حيث لا يشعر، وهذه الصفة الذميمة من كبائر الذنوب وعظائم الآثام، ويقارب المكر: الكيد، وهو إرادة مضرة الغير خفية، وهو من الأخلاق السيئة.

وتتنوع أساليب المخالفين في المكر والكيد بأهل الاستقامة، قال الله عز وجل عن كفار قريش وشدة مكرهم برسول الله ﷺ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠].

فمن هذه الآية تظهر شدة عداوة المبطلين للمستقيمين، وكثرة الطرق التي يسلكونها لكتم الحق.

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره (٧/ ٣٨٤): هَذَا إِخْبَارٌ بِمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ الْمَكْرِ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي دَارِ النَّدْوَةِ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَىٰ قتله، فبيتوه ورصدوه علىٰ باب منزل طُولَ لَيْلَتِهِمْ لِيَقْتُلُوهُ إِذَا خَرَجَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَنَامَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، وَدَعَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعَمِّيَ عَلَيْهِمْ أَثَرَهُ، فَطَمَسَ اللهُ عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ، فَخَرَجَ وَقَدْ غَشِيَهُمُ النَّوْمُ، فوضع علىٰ رءوسهم تُرَابًا وَنَهَضَ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا خَرَجَ عَلَيْهِمْ عَلِيٌّ فَأَخْبَرَهُمْ أَنْ لَيْسَ فِي الدَّارِ أَحَدٌ، فَعَلِمُوا أن رسول الله ﷺ قَدْ فَاتَ وَنَجَا. الْخَبَرُ مَشْهُورٌ فِي السِّيرَةِ وَغَيْرِهَا. وَمَعْنَىٰ (لِيُثْبِتُوكَ) لِيَحْبِسُوكَ، يُقَالُ: أَثْبَتُّهُ إِذَا

حَبَسْتُهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: (لِيُثْبِتُوكَ) وِثَاقًا. وَعَنْهُ أَيْضًا وَعَبْدُاللهِ بْنُ كَثِيرٍ: لِيَسْجِنُوكَ. وَقَالَ أَبَانُ بْنُ تَغْلِبَ وَأَبُو حَاتِمٍ: لِيُثْخِنُوكَ بِالْجِرَاحَاتِ وَالضَّرْبِ الشَّدِيدِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

فَقُلْتُ وَيْحَكُمَا مَا فِي صَحِيفَتِكُمْ قَالُوا الْخَلِيفَةُ أَمْسَى مُثْبَتًا وَجِعَا

(أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) عَطْفٌ. (وَيَمْكُرُونَ) مُسْتَأْنَفٌ. وَالمَكْرُ: التَّدْبِيرُ فِي الْأَمْرِ فِي خِفْيَةٍ. (وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ) ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ.

وهذه الصفة قديمة قدم إبليس اللعين، فقد مكر بأبينا آدم وأمنا حواء حتىٰ أخرجهما من الجنة، حيث قال لهما: ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طـه:١٢٠]. واستخدم عدة أساليب في مكره، منها: الأيمان، وزعم النصيحة، قال الله عز وجل: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢١]، ومنها: التغرير، قال الله عز وجل: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖ﴾ [الأعراف:٢٢]. فدخل عليهما وعلىٰ ذريتهما بسبب هذا المكر ما الله به عليم، قال الله عز وجل: ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗا﴾ [الرعد:٤٢]، وقال تعالىٰ في وصف عظم مكر المبطلين من الكافرين بالمسلمين المستقيمين: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ [نوح:٢٢]، وقال: ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦]، وقال الله عز وجل: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ [طـه:٦٠].

فأعظم وسائل وأساليب الحرب لأهل الإسلام والاستقامة المكر والكيد بحملة الدين، وللمكر أساليب.

منها: إظهار المحبة للشخص الذي يُمكر به.

ومنها: المكر بصورة النصحية والمشاورة، كما تقدم فعل إبليس مع أبينا آدم.

ومنها: التزيي بزي أهل الحق تمويهًا ومكرًا، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [آل عمران:٧٢].

ومنها: رد الحق بدعوىٰ أن يقع لهم ما وقع لأهله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام:١٢٤].

ومنها: الإحاطة بالمستضعفين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:٣٣].

والأساليب كثيرة، لكن تكفي الإشارات عن كثرة التفريعات والعبارات. ومع ذلك يمكرون ويكيدون والله عز وجل لكل مبطل بالمرصاد، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف:٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر:١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠].

٢-الخداع:

وهو إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه علىٰ خلاف ما يخفيه، قاله الراغب.

وقال المناوي: إظهار خير يتوسل به إلىٰ إبطال شرٍّ يئول إليه أمر ذلك الخير المظهر.

قال الله عز وجل عن حال المافقين المبطلين مع المؤمنين: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٦٢].

والخداع من الكبائر العظيمة، والبلايا الجسيمة التي ترتكب للصد عن دين رب العالمين من قبل الكافرين والمنافقين وغيرهم من المميعين، فاحذر علىٰ نفسك من خداع المخادعين، فالمكر والخديعة في النار، والحمد لله إنما ينفق الخداع علىٰ من

تركه الله عز وجل لسوء عمله، وإلا فإن الله كافي المؤمنين المخلصين شر المخادعين.

٣- ومن أساليبهم: الخيانة:

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٧١]. فالخائن جهده في إضلالك...

والخيانة في اللغة: مأخوذ من مادة (خ ون) التي تدل علىٰ النقص.

وفي الاصطلاح:

قال المناوي رحمه الله في «**التوقيف**» صـ(١٦٢): (الخيانة: هي التفريط في الأمانة. وقيل: هي مخالفة الحق بنقض العهد في السر.). اهـ

وقال ابن الجوزي رحمه الله كما في «**نضرة النعيم**»: (الخيانة: التفريط فيما يؤتمن الإنسان عليه. ونقيضها الأمانة.). اهـ

وقال القرطبي رحمه الله في «**جامعه**» (٧ / ٣٩٥): (الخيانة: الغدر). اهـ

وقال الراغب في «**المفردات**» (١/ ٣٣٠): (الخيانة والنفاق واحد، إلا أن الخيانة تقال اعتبارًا بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتبارًا بالدين. ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر. ونقيض الخيانة الأمانة). اهـ

حكم الخيانة

الخيانة من كبائر الذنوب، كما ستأتي الأدلة المبينة كونها من الكبائر، وقد عدها من الكبائر الإمام الذهبي وابن حجر الهيتمي وغيرهم ممن صنف في الكبائر.

واعلم - وفّقك الله عزّ وجلّ لكل خيرٍ - أنّ الخيانة دين اليهود، الذي عُرفوا به، وتميّزوا به أكثر من غيرهم، حتىٰ قال الله عز وجل فيهم: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة:١٣]، ومن أجلها لعنوا، قال تعالىٰ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [المائدة:٧٨].

وهي قبلهم طريقة إبليس اللعين الداعي إلىٰ كل طريق مهين حيث قال لآدم عليه الصلاة والسلام ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾ [طه:١٢٠]، وأخبر الله عنه في سورة الأعراف فقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ١٠ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [الأعراف:١٠-٢٢].

فاستخدم الخيانة في إخراجهم من الجنة، وهي الخيانة في النصيحة، وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ في «سنن أبي داود» (٥١٢٨): «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»، لكن المشير الخائن لا يرعوي عن بث سمومه وتزيين باطله، فاللهمَّ سلِّم.

وانظر وفّقك الله عزّ وجلّ إلىٰ مغبَّة تصديق الخائن، أين كان آدم؟! وأين صار؟! لولا أن تداركه الله بالتوبة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه:١٢٢]، ومع

ذلك كم لحقت البشرية من تبعات؛ حتىٰ صاروا كما قال تعالىٰ: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورىٰ:٧]، ولله عزّ وجلّ له الحكمة البالغة والحجّة الدامغة.

وقد ضرب الله عز وجل في كتابه الكريم مثلًا عن بعض الخائنين بقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم:١٠].

والخيانة طريقة قديمة ورثها الأصاغر الأنذال، عن كل سافل محتال؛ للتزهيد في الدعوة والدعاة، والعلم والعلماء، وتزيين البدع، واحتقار السنن.

ولنا في خيانة فرعون لقومه تحذيرًا من تصديق الخونة، وإن نمَّقوها وجعلوها في صورة حسنة؛ صدًّا منهم عن الدعوة الحقة، حتىٰ قال عن دعوته كما أخبر الله تعالىٰ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩].

صَوَّرَ خيانته لهم بأنه حريص عليهم من سبل الغواية؛ فاتبعه أقرانه وخلانه، فالله المستعان.

وقال لهم في موطن آخر وبأسلوب آخر من الخيانة ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف:٥١-٥٤].

فكانت عاقبة خيانتهما البوار والخزي والدمار، وهكذا مصير الخائنين.

وقال تعالىٰ في موطن آخر للملإ الذين هم حوله: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء:٣٥].

صوّر لهم بأنه آخذ بمشورتهم، حريص عليهم من عدوهم، فانطلت الحيلة عليهم وأجابوا: ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾

وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف:١١١-١٢٠]، فبين الله عز وجل هذه الخيانة وفسادها، حين ألقوا حبالهم وعصيهم ثم ألقىٰ موسىٰ عصاه، فظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون.

وخيانة قوم صالح ظاهرة جلية؛ دمرهم الله عز وجل بسببها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَٰسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [النمل:٤٥-٥١]، وهكذا دأب المبطلين، فكفّار قريش تظهر خيانتهم حين قالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧]، فجعلوا مخالفة القرآن والإعراض عنه سببًا للغلبة، مع أنه من أعظم أسباب الخذلان، لكنها الخيانة والنصائح الإبليسية، فعلىٰ الله التكلان، وهو المستعان.

وأنت أيها المؤمن مأمور بأداء الأمانة، والبعد عن الخيانة، حيث قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء:٥٨]، وقال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧].

والأمانة تطلق ويراد بها الدين القويم والصراط المستقيم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢].

ومن أعظم الخيانة لله عز وجل ورسول ﷺ: هي التمرد علىٰ شرع الله عزّ وجلّ، وبثّ السموم والإرجاف والدعاوي الباطلات، علىٰ المصلحين من العلماء الناصحين من السلفيين.

قال تعالىٰ ذامًّا لهذه الصفة الذميمة، مبينًا أن من كان هذا حاله مآله إلىٰ الخسران المبين والهوان العظيم: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف:٥٢].

فمهما كاد ومكر، ومهما تعدىٰ وغدر، فإن صنيعه مبتور، وفعله فعل المغرور.

وإذا ظهرت الخيانة من أحد، فلا يجوز الدفاع عنه، ولا الخصومة من أجله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥]، أي: معينًا ومدافعًا؛ لأن الدفاع عن الخونة، وخصوصًا في محل الخيانة الدعوية، يعتبر في حدِّ ذاته خيانة لله عز وجل، ولرسوله ﷺ، وللدعوة الحقّة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص:٨٦]، أي: معينًا لهم علىٰ باطلهم، فكذلك لا تكن ظهيرًا ومعينًا للخونة.

والمجادلة عن الخونة من كبائر الذنوب، قال الله عز وجل محذرًا من ذلك: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧]، أي: يظلمون أنفسهم بالخيانة. ويا لله! كم نرىٰ هذه الأيام من دفاع واستماتة في الذب عن أعراض الخونة من المبتدعة وغيرهم.

وما أمر الله بترك الدفاع والمعاونة للخائنين؛ إلا لأن الخيانة مذمومة، وصاحبها عنده غير محبوب، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧].

وقال تعالىٰ مبينًا أنه مُمَكِّنٌ من الخائنين: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٧١].

وإننا لنرىٰ أن كثيرًا ممن ابتلاهم الله عز وجل بالخيانة الدعوية يتقادعون في مستنقعات الفضائح والبدع، وإن حسن حالهم فترة من الزمن، فاللهم سلم.

والخيانة من صفات المنافقين، كما جاء عند البخاري (٢٥٣٦) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»، وفي رواية لمسلم (٥٩): «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ»، وجاء في حديث عند البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨) عن عبد الله بن عمرو : «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

وجاء عند أبي داود (٣٥٣٤) والترمذي (١٢٦٤) عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ». فإذا كان المؤمن مأمورا بأداء الأمانة حتىٰ في حق الخائن، فما بالك بخيانة هذا الخائن لمن اؤتمن عليهم من طلاب العلم من قبل العلماء والدعاة إلىٰ الله.

والخيانة من أسباب دخول النار إذا كانت في عرض أو مال، فكيف بالخيانة الدينية؟! والصرف عن السنن المرضية، والصرف عن طلب العلم النافع علم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؟! أخرج مسلم في «صحيحه» (٢٨٦٥) من حديث عياض ابن حمار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ» وذكر منهم الخائن.

والخونة قد نهانا الله عز وجل عن التفرق بسببهم، حيث قال للمؤمنين لما اختلفوا في الخونة الذين رجعوا عن غزوة أحد: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء:٨٨]، وحذّرنا من الركون إليهم بقوله جل وعلا: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:٨٩]، فاحذر علىٰ نفسك يا طالب العلم، واستعذ بالله من شر الخونة والخائنين.

وللخونة أساليب عجيبة في الخيانة، فتارة يتظاهرون بصورة الناصحين كما تقدم في قصة إبليس اللعين مع أبينا آدم عليه الصلاة والسلام، وتارة لا يستخدم الطعن المباشر في من يريد إبعادك عنه، ولكن يطعن فيمن حوله، وهذه في حدِّ ذاتها طعن في المحاط به:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

مع أنهم ما ذكروا رسول الله ﷺ من قريب ولا من بعيد، ولكن الطعن في الجليس طعن في المجُالَس، فليكن طالب العلم علىٰ حذر من هذه الأصناف الذين لا هم لهم إلَّا حرب أهل الحق بهذه الوسيلة المذمومة شرعًا وعقلًا.

هذا، وظهورها من أمارات الساعة، كما جاء عند البخاري (٦١٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةَ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**». وقال ﷺ كما جاء عند ابن ماجه (٤٠٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**» قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**».

فلا غرو أن تجد كثيرًا من خونة الدعوة يُصدقون ويُؤخذ عنهم باطلهم ودينهم.

ومن أساليب الخيانة الدعوية: تزهيد الخونة في العلماء؛ وذلك بعدة أمور، منها:

أنهم لا يفقهون الواقع.

متشددون.

عندهم أخطاء وزلات وزلقات.

الافتئات عليهم والتزهيد منهم وفي علمهم.

مجالسة الخونة أمثالهم وتبجيلهم والإشادة بذكرهم.

التنقيب عن أخطاء العلماء ومثالبهم وبثها للناس.

التعصب بدافع الغيرة علىٰ الحق، والحق أنه تعصب بدافع هوىٰ النفس، قال ابن أبي العز في كتابه «**الاتباع**» صـ(٢٤-٢٥): (وليس في الطبع السليم ما يقتضي التعصب

دون هذا العالم، وإنما يأتي ذلك غالبًا من هوىٰ النفس، فيكون حينئذ قد جبل علىٰ خلق ذميم).

بث الإشاعات، وتأجيج نارها، وغير ذلك.

الاستنكار لمنهج الجرح.

كثرة الأيمان الكاذبة؛ لرد ما نسب إليهم من الأقوال والأفعال.

الاتهام لكل من أنكر عليهم أنه يسير علىٰ الطريقة الحدادية.

وغالبًا ما يكون صيد الخونة الجهال وأشباه الجهال، والعجب أن طالب الحق يأتي إلىٰ هذا الخائن ويجعله مستشارًا له، فيفسده، فيخرج من بلده صاحب سنة، فيرجع بسبب المجالسة وهو صاحب بدعة أو قريب من ذلك ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وكما قيل:

وَمَنْ جَعَلَ الْغُرَابَ لَهُ دَلِيلًا ... يَمُرُّ بِهِ عَلَى جِيَفِ الْكِلَابِ

فلو لم يكن من عقوبة الخائن إلا أن الله عز وجل يمكن منه للنكال به في الدنيا؛ لكفىٰ بها عقوبة، فكيف وهي أيضًا من أسباب دخول النار كما تقدمت الإشارة إليه في حديث عياض بن حمار ﷺ عند مسلم (٢٨٦٥) ولفظه: «وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِى لاَ زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لاَ يَتْبَعُونَ أَهْلًا وَلاَ مَالًا، وَالخَائِنُ الَّذِى لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ، وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِى إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ». وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ، وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ.

فتبين لنا من الحديث أن الخائن الدعوي لا كَثُر الرجال من أمثاله يدخل في الخائن الذي لا يخفىٰ له طمع وإن دق إلا خانه، وذنبه أعظم من ذنب المخادع في الأهل والمال.

إذ أن خيانة هذا المدبر كذب علىٰ الله عز وجل، وعلىٰ رسوله ﷺ، وطعن في حملة الشريعة والملة، قال الشيخ العثيمين رحمه الله في «شرح رياض الصالحين»

حديث رقم (٣٤٩): (فإن العلماء ورثة الأنبياء؛ لأن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا)، فالعلم شريعة الله، فمن أخذ بالعلم أخذ بحظ من ميراث الأنبياء، وإن كان الأنبياء لهم حق التبجيل والتعظيم والتكريم، فلمن ورثهم نصيب من ذلك؛ أن يبجل ويعظم ويكرم.

وتوقير العلماء توقير للشريعة؛ لأنهم حملتها، وبإهانة العلماء تهان الشريعة؛ لأن العلماء إذا ذلوا وسقطوا أمام أعين الناس ذلت الشريعة التي يحملونها، ولم يبق لها قيمة عند الناس ...

فهذان الصنفان: العلماء، والأمراء، إذا احتقروا أمام الناس، فسدت الشريعة، وفسد الأمن، وضاعت الأمور... فإذا لم يوقر العلماء ولم يوقر الأمراء ضاع الدين والدنيا، نسأل الله العافية. اهـ

وهل تكون طريقة أصحاب الخيانة الدعوية إلا التزهيد في العلماء؟! وكم رأينا ممن تأثر بهؤلاء الخونة صار العلماء عندهم أصاغر، وسقط الخونة وأتباعهم علىٰ أمهات رءوسهم، وبقي العلماء شامخوا الرؤوس، منصورون ممكنون، ولتعلم أن العالم حتىٰ ولو أخطأ فهو دائر بين الأجر والأجرين، كما في الحديث عند مسلم (١٧١٦) عن عمرو بن العاص ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**».

وأما من حذر، وتكلم فيهم، وأبعد عنهم، فإما أن يكون فعله صادرًا عن نصح - كما زعم - وبهذه الطريقة أخطأ الطريقة، وحقه أن يؤخذ علىٰ يده، فإنه بصنيعه هذا يفعل فعل الخوارج الذين يخرجون، وكما أن الخروج علىٰ السلاطين محرم، فالخروج علىٰ العلماء من باب الأولىٰ، فالخروج علىٰ الحكام والسلاطين يفسد البلدان والأديان، وإما أن يكون مراده الطعن والتزهيد من أول الأمر، فهذه الطامة التي تذهب الدين والدنيا، ولله الحمد والمنة.

ولسوءتها -أي الخيانة- كان رسول الله ﷺ يستعيذ منها كما في حديث أبي هريرة ﷺ عند أبي داود رحمه الله (١٥٤٧): «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ**».

وقبل تمام الكلام في هذه الوريقة أنصح إخواني طلاب العلم أن يكونوا علىٰ حذر شديد من الخونة والخائنين، ومن الكسالىٰ والمخذلين، والصوارف عن الخير والحق كثيرة.

كن متصديًا لها في ليلك ونهارك، وسرك وجهارك، فإن الشيطان حريص كل الحرص علىٰ إغوائك وإضلالك، قال الله تعالىٰ مخبرًا عن حال الشيطان مع الإنسان: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص:٨٢].

وله أعوان وأنصار، وأحباب وأصحاب، ولا تغتر بما تسمع من الدعايات، فالواجب عليك التثبت في الإشاعات ضد العلماء والدعاة، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]. وفي قراءة حمزة والكسائي: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾.

فإذا كان التثبيت واجب في الأمور العادية، فمن باب الأولىٰ إذا طعن طاعن في عالم من العلماء، وإمام من الأئمة، فإن الأصل فيهم حسن الظن، ولو كان عندهم أخطاء - كما يقول هذا الخائن - فما هذا الخطأ؟ وما دليله علىٰ أنه خطأ؟ ومن وافقه من العلماء علىٰ أنه خطأ؟ ومع ذلك نحن لا ندَّعي العصمة لعلمائنا، ونعلم أنهم يصيبون ويخطئون، ويعلمون ويجهلون، لكن نستفيد منهم لأمر الله عز وجل بذلك: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، نسألهم عن الذكر والدليل والحق والشرع.

ثم إن كان ناصحًا كما زعم، فهل حصل منه ذلك؟ لا والله، وبالله، وتالله، ولكن هي الأهواء، وسوء المقصد، وسوء الفهم، وقلة الأدب، وقلة العلم. وأنصح الخونة بالتوبة إلىٰ الله عز وجل؛ فإن الله لهم بالمرصاد، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

وهذا المبحث مأخوذ من كتابي «**الخيانة الدعوية حجر عثرة في طريق الدعوة السلفية**».

وأبشر أيها المسلم إن استقمت علىٰ شرع ربك، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف:٥٢].

٤- ومن أساليبهم: الكذب والتكذيب:

قال الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [الأنعام:١٤٨]، وقال الله عز وجل: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [لأنفال:٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الزمر:٢٥]، وقال الله عز وجل: ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [المجادلة:١٤]، ويكون بالكذب علىٰ أهل الحق بتشويههم، كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الفرقان: ٥]، وكقوله: ﴿فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرٌ ۝٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٤-٢٥] في آيات كثيرات. والكذب عليهم للمكر بهم، ويكون الكذب عليهم بإظهار الباطل حقًّا، والحق باطلًا، والكذب قد يكون بالأفعال والأقوال، وهم أيضًا مكذبون للحق الذي جاء من عند الله عز وجل جملة، كما هو حال الكفار، وتكذيب جزئي إن لم يكن بلسان المقال، فهو بلسان الحال، كتكذيب أهل البدع،وقد يكون التكذيب بسبب الكبر، قال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]، وقال فرعون في رد دين موسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر:٣٧]، فالذي يكذب علىٰ أهل الحق أو يُكَذِّبهم فرعوني، فالواجب الحذر من تكذيبهم والكذب عليهم، والكذب صفة نفاقية كما قال رسول الله ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ» وذكر منها: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ» أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال البيحاني رحمه الله في «رباعياته» (٢٦):

لَا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ صَدِيقِكَ أَنَّهُ ... حُلْوُ الحَدِيثِ فَقَدْ يَكُونُ خَبِيثَا

يَلْقَـــاكَ مُبْتَسِـــمًا وَيُظْهِـــرُ وُدَّهُ وَيَسِـيرُ سَـيْرًا فِـي الفَسَـادِ حَثِيثَـا
يُثْنِـي عَلَيْـكَ إِذَا حَضَـرْتَ مُخَادِعًـا وَإِذَا انْصَـرَفْتَ أَشَـاعَ عَنْـكَ نَبِيثَـا

٥- ومنها التلون:

بحيث يتمكنون من نشر باطلهم، قال الله عز وجل: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران:٧٢]، فانظر إلىٰ هذه الصفة النفاقية كيف يتلون أهل الباطل حتىٰ يتمكنوا من تمييع السلفي عن عقيدته والمسلم عن دينه.

واشهر المعروفين بهذا في هذا الزمن هم الإخوان المسلمين ومَن إليهم من أصحاب الجمعيات الذين ينطبق عليهم قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٤١]، وقال البيحاني رحمه الله في «رباعياته» (٥٨):

يَـدُورُ مَـعَ الزُّجَاجَـةِ حَيْـثُ دَارَتْ وَيَلْـبَسُ لِلسِّيَاسَـةِ أَلْـفَ لُـبْسِ
وَعِنْـدَ المُسْـلِمِينَ يُعَـدُّ مِـنْهُمْ وَيَطْلُـبُ سَـهْمَهُ مِـنْ كُـلِّ خُمْـسِ
وَعِنْـدَ المُلْحِـدِينَ يُعَـدُّ مِـنْهُمْ وَعَـنْ مَـارِكْسَ يَحْفَـظُ كُـلَّ دَرْسِ
وَمِثْـلُ الإِنْجِلِيـزِ إِذَا رَآهُـمْ وَفِـي بَـارِيسَ مَحْسُـوبٌ فَرَنْسِـي

وكان الشيخ مقبل رحمه الله كثيرًا ما يتمثل بهذه الأبيات، قال رحمه الله في «تحفة المجيب» صـ(٢٩٠): فالحزبي مستعد أن يكون له خمسة أوجه. اهـ

ولهذا جاء في الحديث: «تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ» أخرجه البخاري (٣٤٩٤)، ومسلم (٢٥٢٦). فأهل الباطل يتزيون بالحق من أجل أن يتوصلوا إلىٰ ما يريدون من الباطل من زعزعة الناس عن دينهم، والطعن من الداخل حتىٰ يكون الوقع أكبر والخطب أعظم.

٦- ومن أساليبهم: الغدر:

وهو من الصفات النفاقية، ففي الحديث: «**إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ**» أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) عن أبي هريرة ﷺ ، والغدر من كبائر الذنوب والآثام، وقد تعود أهل الباطل الغدر بأهل الإسلام من زمن بعيد، فكانت اليهود تنقض عهودها، وهكذا أهل البدع يسيرون علىٰ هذه الطريقة السيئة؛ مكرًا بالإسلام وأهله، ومحاولة في تمييع المسلمين عن دينهم.

وهذه الصفة من أشد الوسائل فتكًا؛ لأن الغادر يأتيك من موطن الأمان.

٧- ومن أساليبهم: الغش:

فهم يغشون أهل الإيمان والاستقامة بالبضائع الفاسدة من العقائد الكاسدة، وقد قال النبي ﷺ في الذين يغشون في الطعام: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**» أخرجه مسلم (١٠٢) عن أبي هريرة ﷺ، فما بالك بمن يمكر بالإسلام وأهله، وبالسنة وحملتها.

والغاش هو الذي يخلط الرديء بالجيد، والجيد هنا هو ما كان من الكتاب والسنة، والرديء ما كان من الكفر والبدعة، وإنك لتعجب من حال الناس إذا دخل السوق يجتهد في الشراء والنظر في الجيد من غيره، أما في مسألة العقيدة والدين فإنه قد سلم نفسه لكل مبطل يقوده كيف شاء، وأعظم من يقوم بهذه المهمة علماء السوء ودعاتهم، حيث يصورون لأتباعهم الزيوف ذهبًا، والباطل حقًّا، فكم من ضرر قد لحق الأمة بسببهم وحالهم كما قال رسول الله ﷺ: «**دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَطَاعَهُمْ قَذَفُوهُ فِيهَا**» أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) عن حذيفة ﷺ، فهؤلاء يغشون في النصيحة، ويغشون في العقيدة، ويغشون بالفتوىٰ، ويغشون بلسان الحال والمقال، فإذا أردت الديانة والصيانة فليكن مرجعك أهل العلم الناصحين والدعاة المنصفين، أما إن اتخذت الغربان فلن يمروا بك إلا علىٰ المزابل وأماكن الجيف.

٨- ومنها : التغرير:

الغرر مأخوذ من مادة (غ رر) التي تدل علىٰ النقصان، والغرر محرم في البيوع، فكيف بالغرر في العقائد، حيث يغرر أهل الباطل بأهل الحق ويغرونهم بالباطل من

التمييع والبدع وغير ذلك، تارة بتثبيتهم علىٰ باطلهم كما أخبر الله عز وجل عن الكافرين: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ [صّ:٦]. ومنها إشغالهم بالاجتماعات الباطلة، قال تعالىٰ مخبرًا عن قوم فرعون: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء:٣٩-٤٠]. ومنها التغرير بهم بإلقاء الخطب الحماسية، قال الله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف:٥١].

٩- المجادلة بالباطل:

قال الله عز وجل في بيان ذلك: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر:٥].

١٠- ليس الحق بالباطل وكتم الحق:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧١].

١١- التفريق بين المؤمنين أهل الاستقامة:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة:١٠٧]، وقال تعالىٰ: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة:٤٧].

وقد حذر الله عز وجل من الفرقة، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

والفرقة عذاب نزل بأمة الإسلام نسأل الله السلامة، قال البيحاني في «رباعياته» (١٧):

أَيُّ شَـــيْءٍ نَـــرَاهُ دَاءً عُضَـــالَا ... مِثْـلَ مَـا فِـي الْـبِلَادِ مِـنْ أَحْـزَابِ

نَحْـــنُ مَـــا بَـــيْنَ شَـــافِعِيٍّ دَعِـــيٍّ ... وَجَهُـــولٍ مُعَانِـــدٍ مُرْتَـــابِ

يَــزْعُمُ الْكُــلُّ أَنَّــهُ فِــي طَرِيــقٍ سَــارَ فِيهَــا الرَّسُــولُ بِالْأَصْــحَابِ
فَرَّقُــوا الــدِّينَ ثُــمَّ جَــاءُوا بِشَــيْءٍ لَــيْسَ فِــي سُــنَّةٍ وَلَا فِــي الْكِتَــابِ

١٢- السِّرِّيَّة:

ومن أعظم هؤلاء سرية اصحاب الديانة الماسونية، وأصحاب المخابرات، وأصحاب الحزبيات، يتسترون للتكتل والمكر، قال تعالىٰ: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [سبأ:٣٣].

١٣- إثارة النعرات القبلية:

قال الله عز وجل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨].
والرسول ﷺ يقول كما في حديث جابر عند مسلم (٢٥٨٤): «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**».

١٤- الجمعيات:

وهذه - كما تقدم - من أعظم الوسائل التي اتخذها المبطلون من اليهود والنصارىٰ وغيرهم في تفريق المؤمنين، والمكر بهم، وتعليقهم بالدنيا، وإدخال الشبه عليهم، وإدخال كثير من المعاصي في صفوفهم حتىٰ يستسيغوها، كوضع الأموال في البنوك الربوية، وتصوير ذوات الأرواح، والسرية المذمومة، والتسولات،وأكل أموال الناس بالباطل، إلىٰ غير ذلك مما هو متقرر عند أهل الحق والاستقامة، ومما يدل علىٰ ذلك ما نصت عليه بعض المحافل الماسونية بقولها: علىٰ الإخوان [أي: الماسونيين] أن ينفذوا في صفوف الجمعيات الدينية وغيرها، بل عليهم إن احتاج الأمر أن يقوموا بتأسيس تلك الجمعيات علىٰ أن لا تُشَم منها رائحة حقيقة الدين.[(١)]

وقد يقول قائل: كيف تكون الجمعيات أو الكثير منها دسيسة، وهي تبني المساجد؟ نقول: كما بنىٰ المنافقون، وكما بنىٰ القرامطة والرافضة، فتنبه أيها المسكين! لا تُخدع من حيث لا تشعر!!!

(١) انظر: «الأجوبة المفيدة» للدوسري ص(١٧٩).

فما فرّق الدعوة السلفية في اليمن، وشتت شبابها، وأذاب كثيرًا من أتباعها حتىٰ صاروا متحزبين للباطل مشاركين في الانتخابات، ظاهرين علىٰ الشاشات، مستمعين للأناشيد المائعات، لاهثين خلف حطام الدنيا البالي ولو علىٰ حساب الدين؛ إلا الجمعيات. وكذا في مصر والسودان وتنزانيا كم فعلت بهم جمعية إحياء التراث، والحق أنها جمعية (إخماد التراث الإسلامي). وكم فعلت الجمعيات في بلاد الحرمين، أخرجت كثيرًا من الشباب تكفيريًّا سروريًّا، إلىٰ غير ذلك.

فمتىٰ تفيق المجتمعات من سباتها وتعود إلىٰ كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ علىٰ فهم السلف الصالحين وأئمتها المهتدين، أهل العلم والأثر، والفقه والنظر.

١٥- ومن أساليبهم الماكرة: إنشاء الحزبيات:

وقديمًا قال قائلهم: (فَرِّقْ تَسُدْ). وقال الشاعر العربي:

تَـأْبَى الرِّمَـاحُ إِذَا اجْـتَمَعْنَ تَكَسُّـرًا وَإِذَا افْتَـرَقْنَ تَكَسَّـرَتْ آحَـادَا

والله عز وجل حذر من الفرقة تحذيرًا بليغًا، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢]،وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

والأدلة في الباب كثيرة، ثم يأتي هؤلاء الذين يمكرون بديننا من الكفار وأفراخهم من المسلمين فينشئون الحزبيات التي فرقت ومزقت، وظهرت بسببها الشحناء والبغضاء، وسالت الدماء، وعُطلت كثير من أبواب الدين، وحصل التمييع بسبب الحرص علىٰ الكثرة التجميعية، بعيد عن التصفية والتربية، إلىٰ غير ذلك مما هو معلوم للخاص والعام، والمواطنين والحكام، لكن كما قال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

١٦- ومن أساليبهم: إنشاء المؤتمرات:

لاسيما مؤتمرات حوار الأديان والحضارات، ومؤتمرات الشباب والشابات، فتُلقىٰ الشبه ويتلقاها الحاضرون، يلقفها منهم الغائبون، ويحصل الضرر العظيم في

الدين، ولم تنشأ هذه المؤتمرات عفويًّا، بل إنهم يُحَضِّرون لها تحضيرًا، مع معرفتهم بمواطن الضعف لدىٰ الحاضرين والغائبين بسبب الجهل بالدين، وكذا كثرة المدسوسين بين أبناء المسلمين، فلا يخرج المؤتمر إلا وقد صوروا للمجتمعات أن النصرانية واليهودية من الاديان السماوية، ومعنىٰ ذلك أنها أديان حق، وهيهات!!!

١٧- بذل الأموال:

من وسائلهم وأساليبهم: بذل الأموال الكثيرات والملايين الوفرات، فيعطون أصحاب النفوس المرضة، فيشترونهم، ثم يتبعهم الكثير من المغفلين اتباع كل ناعق.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦].

١٨- ومنها التشكيك في نيات الدعاة إلى الله عز وجل ومناهجهم:

وهذه طريق سلكها المتقدمون والمتأخرون، حيث يتهمون أهل العقيدة الصحيحة بأنهم يريدون الملك والجاه والرياسة والأموال، وهكذا، فتجد في هذه الأيام أنهم يقولون: (الله أعلم أيش وراءكم) وهذا السبيل الجديد في شكله، قديم في نوعه، فكم من الناس الذين تصدوا لدعوة أهل السنة والجماعة، علىٰ أن دعاتها عملاء للسعودية، أو أنهم وأنهم... ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص:٧].

وقد من الله عز وجل بخطبة جمعة في دار الحديث بدماج، تكلمت علىٰ هذه الأساليب الخطيرة، ملخصها:

إن الله سبحانه وتعالىٰ خلقنا لطاعته وعبادته، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ولمحبته لذلك بعث ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال عز وجل: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء:٣٦]، وقال سبحانه

وتعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]، في آيات كثيرات طيبات مباركات، يحثنا ربنا سبحانه وتعالىٰ علىٰ عبادته وطاعته، ولمحبته لذلك سبحانه وتعالىٰ ختم الرسالات برسالة محمد ﷺ الذي أرسله بالهدىٰ ودين الحق، بالهدىٰ الكامل، وبالدين التام، الذي أخبر الله عز وجل عنه بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

بعثه بالعلمِ النافعِ، المصاحب للعمل الصالح، وأخبر الله عز وجل: أنه لا نجاة من الخسارة إلا بالأخذ بهذين الشيئين، قال عز وجل: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾.

ولما جاء رسول الله ﷺ بالهدىٰ ودين الحق، عاداه من عاداه، وحاربه من حاربه ومقته من مقته، وخذله من خذله، ونصره من نصر، وأعز الله عز وجل بعد ذلك دينه، وأعلىٰ كلمته ومكَّن لأوليائه، وقام أهل السنة والجماعة بهذا الدين خير قيام، فحققوا توحيده عز وجل في جانب الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، يؤمنون بالله عز وجل كما أخبر عن نفسه، وأخبر عنه رسوله ﷺ، لا يكيفون ولا يمثلون، ولا يعطلون ولا يحرفون ولا يشركون ولا ينددون بل هم مستسلمون منقادون محققون لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨]، محققون لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤].

وحققوا جانب العبادات، ففي صيامهم يصومون كصيام رسول الله ﷺ.

وفي صلواتهم يصلون كما صلىٰ رسول الله ﷺ؛ متمثلين قوله عليه الصلاة والسلام: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» أخرجه البخاري (٦٣١).

ويحجون كحجه؛ لقوله ﷺ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ» أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر رضي الله عنه.

وهم أحسن الناس أخلاقًا؛ امتثالًا لحديث النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[1].

وهم في جانب المعاملات يحرصون علىٰ أن يلازموا طريقة النبي ﷺ، فهم أهل الهدىٰ والحق ومع ذلك لا غرو أن تجد من يتنكر ويعادي هذا الحق وحملته من الأنبياء والأولياء والصالحين، ومع ذلك: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥].

وليُعلم أن هذا الدين لا يظهر إلا بالعلم النافع والعمل الصالح، قال تعالىٰ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣].

فينبغي لنا أن نحقق ذلك في أنفسنا وفي مجتمعاتنا، وندعو الأمة جميعًا إلىٰ طاعة ربها وامتثال سنة نبينا ﷺ، ونكون في دعوتنا لسبيل رسول الله ﷺ سالكين وبهديه مستمسكين مبشرين ومنذرين، مطبقين لقول الله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، فإذا طبقنا ذلك رجونا أن نكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، وفي قول النبي ﷺ: «فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» أخرجاه في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

ألا وإننا بين الحين والآخر نسمع من يزهد ومن يطعن ومن يحذِّر من هذه الدعوة المباركة، وَمِن حَملتِها بصورة أو بأخرىٰ، وهذا الأمر ليس بالأمر المستغرب

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، وأحمد (٢/ ٣٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الحاكم (٢/ ٦٧٠) بلفظ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والحديث صححه الألباني رحمه الله تعالىٰ، وصححه الوادعي رحمه الله.

فإن المخالفين قد سلكوا في حرب الحق وأهله سبلًا متفرقة وطرقًا معوجة يقتدي بعضهم ببعض، بئس التابع والمتبوع، فأول ما يطعنون في الحق الذي جاء به، إن استطاعوا أن يصوروا الحق الذي جاء به باطلًا فعلوا ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٤-٢٥]، ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ [القصص:٣٦]، ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان:٥].

يشوهون الحق، ويظهرونه بصورة الباطل، فإن فشلوا في ذلك جاءوا إلىٰ سبيل آخر وهو؛ تشويه صاحب الحق، وحامله، والداعي إليه، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩] هذا نوح عليه السلام يدعو إلىٰ توحيد الله عز وجل، وإلىٰ عبادته، ويخاف علىٰ قومه من العذاب الأليم ومن الخزي العظيم في الدنيا والآخرة، ومع ذلك ما استطاعوا أن يطعنوا في الحق الذي جاء به؛ لأنه يدعوهم إلىٰ التوحيد، لكن قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف:٦٠] وصفوه بالضلال، فبين نوح عليه السلام أنه ليس بضال وإنما يدعو إلىٰ توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، فقال عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٦١-٦٢].

وهود عليه السلام اتهمه قومه بالسفه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف:٦٥-٦٦]، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥].

فلا ينبغي أن يشوه حامل الكتاب والسنة، ولا يطعن فيه؛ لأن الطعن فيه طعن في دين الله عز وجل الذي يحمله ويبلغه: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٢-٥٣].

وكان من عقيدة أهل الحديث: أن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بغير الجميل فهو علىٰ غير السبيل.

ومن أساليبهم: المكر، هذا الداء العضال الذي استغله إبليس اللعين، وقذفه في قلوب أتباعه، يمكرون بالليل والنهار لزعزعة الحق وأهله والمكر بحملته، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل:٤٥-٥١] هؤلاء قوم ثمود يمكرون بنبيهم لقتله.

وكفار قريش كان لهم باع عظيم في هذه الصفة الذميمة للمكر بمحمد ﷺ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

وسيأتي اليوم الذي تقع البراءة بين الماكرين، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [سبأ:٣٣] هذا اعتراف من المستضعفين من التابعين لكبرائهم المجرمين الذين يمكرون بدين الله الحق، ومع ذلك ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨]، ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥].

ومع ذلك ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق:١٥-١٦].

ومن أساليبهم: الطعن في الموطن الذي يظهر منه الحق، وهذا القول ليس بالجديد، فإن كفار قريش قالوا في صحابة النبي ﷺ: أوهنتهم حمىٰ يثرب. الحديث أخرجه البخاري (١٦٠٢)، ومسلم (١٣٦٦) عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - .

ومن أساليبهم: إنفاق الأموال الكثيرة في الصد عن سبيل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال:٣٦-٣٧] هذا وعْد الله أنه يُميّز بين الخبيث والطيب، فلا يمكن أن يتحقق للماكرين والصادين مرادهم، فإنما هي أذية، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠].

ومن وسائلهم: التخذيل، وهذا لا يضر شيئًا؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُم وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**»[(١)] .

فالمخذّل إنما يظلم نفسه، لأنه تخلف عن واجب أوجبه الله عز وجل عليه، وهو نصرة المؤمنين، أولياء الله المتقين، أهل الحق.

والمخذلون لا للحق نصروا، ولا للباطل كسروا.

ومن وسائلهم: التحريش، وهذا سنة شيطانية، ففي حديث جابر عند الإمام مسلم: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»[(٢)]، يحرّش بين المسلمين، بين حملة الدين، ويرسل أولياءه من الإنس والشياطين ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:٦]، والرسول ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (٦٨٨١) من حديث المغيرة بن شعبة، وأخرجه البخاري (٣٤٤١) بلفظ: «**لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**» من حديث المغيرة بن شعبة أيضًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٢) من حديث جابر رضي الله عنهما.

يقول: «مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا»[1]، فكيف بمن يخبب صاحب الحق عن الحق، فكيف بمن يخبب المستقيمين عن أهل الاستقامة ويزعزهم في دينهم، ويردهم إلىٰ القهقرىٰ، صيدًا لأهل الجمعيات والبدع والحزبيات والخرافات.

ومن وسائل الصد عن الحق: وهي صفة نفاقية، فعلها عبدالله بن أبي لعنه الله ومن معه من المنافقين، قال تعالىٰ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون:٨].

ويحذرون من الإنفاق علىٰ رسول الله ﷺ وعلىٰ الصالحين: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون:٧].

ومن وسائلهم: التحذير من سماع كلام أهل الحق: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦] لا تسمعوا لهم، بل ربما ألهوا المستمعين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:٦-٧] صد عن سماع الحق، وعن قراءته، والتبصر به.

المهم أنها حرب علىٰ الحق وعلىٰ أهله، ولكن الله عز وجل بالمرصاد، ومما أخبر الله عز وجل مما يقع بين المبطلين وأتباعهم، وبين أهل الحق والمبطلين الذين يحاولون صدهم أنه قالوا: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات:٢٧-٢٨] أهل الباطل يأتون هؤلاء المساكين عن اليمين وعن الشمال يزهدونهم في الحق: ﴿قَالُوا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ۝٢٨ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٢) من حديث بريدة وهو في الصحيح المسند للعلاّمة الوادعي وصححه الألباني رحمهما الله تعالىٰ.

[الصافات:٢٨-٢٩] تبرءوا منهم، انظر إلىٰ صاحب الباطل حين صدَّك عن الحق وحذرك منه كيف يتبرأ منك يوم القيامة.

وانظر إلىٰ حال المستقيم الذي أعرض عن الصادين وطرقهم: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: في الجنة ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات:٥٠-٦١].

ومن وسائلهم: التنكر لمنهج الجرح والتعديل مع أنه من دين الله، الذي أنزله الله علىٰ نبيه، وهو من شريعة الله التي جاء به النبي ﷺ.

ونختم بهذه الوسيلة الشيطانية اليهودية التي يزهدون فيها من الحق وأهله، وهو البحث عن الفتاوىٰ النابية التي تصدر إما من صاحب حسد أو من صاحب هوىٰ أو من مخالف أو طاعن في حملة الدين. فإن الكافرين لما أعياهم أمر رسول الله ﷺ وظهر خيره ذهبوا إلىٰ اليهود الذين ظاهرهم العلم في تلك الأيام، فقالوا: من أهدىٰ، نحن أم محمد؟ هل يريدون التبصر؟! ومن يستفتي من؟!! ضِلِّيلٌ يستفتي ضِلِّيلًا، ومعرضٌ يستفتي معرضًا، ومخالفٌ يستفتي مخالفًا، وماذا ترجو ممن هذا حاله؟! هل ذهبوا يستفتون أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، يا أبا بكر ما رأيك في طريقة النبي ﷺ؟ لا، لكن ذهبوا إلىٰ خيبر، فأنزل الله في شأنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١].

سبحان الله!!! كيف تتغير المفاهيم علىٰ أصحابها؟! أهل الكتاب الذين كانوا قبل ذلك ينتظرون خروج النبي ﷺ يريدون الاستنصار به علىٰ الأوس والخزرج، فلما

خرج أفتوا بهذه الفتوىٰ؛ لهوىٰ في نفوسهم، ولحسد في باطنهم، ولمكر بالنبي ﷺ، ومع ذلك خيبهم الله تعالىٰ.

ومن وسائلهم: السعي في الهزيمة النفسية للداعي إلىٰ الله عز وجل: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٣-٥٦] فهؤلاء الكفرة حاولوا هزيمة هود عليه السلام نفسيًّا فقالوا: هذا الكلام الذي تأتي به وتدعو إليه ما هو بواضح ولا بيّن، وكأنك مجنون أو مسحور أو ممسوس أو مريض، ومع ذلك ما بالىٰ بهم، بل تحداهم أن يكيدواه.

فلا هزيمة للمتقي إلا من نفسه، أما إذا اعتصم بحبل الله فإنه منصور: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١].

ومن وسائلهم: قطع الطرق إلىٰ أهل الحق، ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَنِ الوَفْدُ أَوْ مَنِ القَوْمُ؟**» قَالُوا: رَبِيعَةُ، فَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِالقَوْمِ أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى**» قَالُوا: إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ. فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَتُعْطُوا الخُمُسَ مِنَ المَغْنَمِ**» وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالحَنْتَمِ، وَالمُزَفَّتِ، قَالَ شُعْبَةُ: رُبَّمَا قَالَ النَّقِيرِ، وَرُبَّمَا قَالَ المُقَيَّرِ، قَالَ: «**احْفَظُوهُ، وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٧)، ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ومن وسائلهم: بتر كلام صاحب الحق؛ ليظهر في صورة الباطل.

والبتر سنة يهودية، فقد جاء من حديث عبدالله بن عمر عند الإمام البخاري ومسلم، أن النبي ﷺ لما جاءه اليهود باليهودي واليهودية الَّذَيْنِ زنيا، قال: «**ائْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**»[1]، فجاءوا بالتوراة ووضعوا أيديهم علىٰ آية الرجم، وأظهروا للنبي ﷺ ما يريدون إظهاره، فما كان من الله عز وجل إلا أن فضحهم علىٰ يد بعض الصالحين، وهو عبدالله بن سلام رضي الله عنه.

ومن وسائلهم: الكذب والتشويه، ومنها الزعم بأن الداعي إلىٰ الله عز وجل قد تغير، وهذا أيضًا ليس بالأمر الجديد، وإنما هو سنة جاهلية، تركها السابقون منهم للاحقين من المخالفين للحق وأهل الحق؛ ولذلك كانت قريش تسمي النبيَّ ﷺ بالصادق الأمين، وكانوا يوادونه ويحبونه ويثنون عليه، فلما جاء بالإسلام اتهموه وقالوا بأنه ساحر، كاهن، مسحور، وأنه كاذب، وأنه ليس بأمين إلىٰ غير ذلك من الأكاذيب التي سلكوها بالصد عن دعوته وعن طريقته.

ومن وسائلهم: ذلك التضييق عليه والجرأة علىٰ صاحب الحق والاستهتار؛ يدل علىٰ ذلك حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه عند الإمام مسلم أنه قدم علىٰ رسول الله ﷺ وهو بمكة جُرَآء عليه قومه، والنبي ﷺ مستخفٍ بين أظهرهم يدعو إلىٰ الله وإلىٰ توحيد الله[2].

ومنها: ضرب أهل الحق إن استطاعوا، فقد جاء من حديث أبي ذر رضي الله عنه عند الإمام مسلم: أنه لما أسلم خرج بين أظهر المشركين ينادي أو يخبر بأنه علىٰ توحيد الله عز وجل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فما كان منهم إلا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٨٠، ٧١٠٤)، ومسلم (١٦٩٩) من حديث عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٨٣٢) من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

أن ضربوه حتىٰ جاء العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وصد عنه، وأخبرهم أنه من قوم تجار، ربما تقطع تجارتهم[1].

وأيضًا جاء في مسلم أن رسول الله ﷺ كان يصلي بين أظهر القوم فجاء أبوجهل -عليه لعنة الله- ليطأ علىٰ رقبة النبي ﷺ -زعم- فإذا به يرجع إلىٰ القهقرىٰ، فقالوا: ما شأنك؟ قال: رأيت أهوالًا وخندقًا وأجنحة، قال النبي ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»، وأنزل الله عز وجل: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق:١٧-١٩][2].

اللهم أنت عضدي وأنت نصيري بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل.

وكان الداعي والحامل لي علىٰ هذه الخطبة، التي أرجو من الله بركتَها وخيرَها وبرَّها، وأملي في الله عز وجل أن يجعل فيها البركة؛ لأنها نصرة لدينه، وللحق الذي أنزله، والذي جاء به النبي ﷺ. إننا نسمع في هذه الأيام كثيرًا من المشوشين والمعرضين والمخالفين يزهدون من الحق وأهل الحق، وخصوصًا التزهيد من الدار السلفية العامرة، القلعة الشامخة الجامعة العظيمة، التي أسسها وبناها شيخنا ووالدنا مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالىٰ حتىٰ وصلت إلىٰ الذروة في أواخر عهده، ملئت بالمحققين والمصنفين وحفاظ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والداعين والداعيات، والصالحين والصالحات، وغير ذلك. ثم خلفه عليها شيخنا يحيىٰ بن علي الحجوري حفظه الله ووفقه وسدده، وما علمناه وما رأيناه إلا ناصحًا مبينًا للحق، ورفيقًا بأهله، ومحذرًا من الباطل، وقامعًا لأهله، فقام عليه المبطلون من كل حدب وصوب، يزهدون ويحذرون ويشوهون ويبترون الكلام، حتىٰ يظهر بصورة المخالفة للحق، وينتقلون من عالم إلىٰ عالم، ومن قطر إلىٰ قطر من أجل تشويهه، والتزهيد من الدعوة التي هو عليها.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وايمُ الله، إننا ما رأينا عنده ولا في داره تغييرًا ولا تبديلًا، فهي دار سلفية وقلعة عامرة، تعظم ما عظم الله عز وجل، وتحقر ما حقر الله عز وجل، تبين وتدعو إلىٰ طريق المستقيمين السلفيين من الصحابة والتابعين، وتحذر من طريقة الحزبيين المخالفين أصحاب البدع والحزبيات وأصحاب الجمعيات الحزبية المغلفة، فما كان منهم إلا أن قاموا بهذا التشويه، وبهذا الكذب، ولكن الله عز وجل مظهر لدينه وناصرٌ له وهو ولي ذلك والقادر عليه.

ولا أدعي العصمة لأهلها وطلابها، فهم يصيبون ويخطئون، ويعلمون ويجهلون، لكن بحسبهم أنهم يحبون الكتاب والسنة، والغالب في دعوتهم الخير، وإن أخطأ بعضهم ناصحوه لرده إلىٰ الحق.

ومن طرقهم: الإشاعات التي استخدمها السابقون واللاحقون من المخالفين للطرق القويمة والفطر المستقيمة، فلما بُعث النبي ﷺ أشاع عنه الكفار أنه ساحر وكاهن ومجنون، وأنه معلم يتلقىٰ هذا الدين وهذا القرآن من رجلين أعجميين كانا مَولَين للحضرمي، فأنزل الله عز وجل في شأن ذلك: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]، ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِىَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٥-٦].

والشاهد أنهم طعنوا فيما جاء به النبي ﷺ وأشاعوا ذلك وأذاعوه - كما أشرنا آنفًا - أشاعوا الطعن في ذاته بأنه مجنون كما في حديث ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - عند الإمام مسلم، أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَىٰ يَدَيَّ، قَالَ: فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَىٰ يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ

الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» الحديث[1].

وربما يشيعون ما يزهد في قوله، كما أشاعوا بأنه كذاب وساحر، وأنه يأمر بقطيعة الأرحام، والرسول ﷺ يوضح طريقته، فقد جاء في حديث عمرو بن عبسة أنه كان يأمر بصلة الأرحام. وكما في حديث أبي سفيان أنه يأمر بصلة الأرحام. متفق عليه، ولما قال له مالك نضلة: إِلَامَ تدعوا؟ قال: «أَدْعُوا إِلَى اللهِ وَالرَّحِمْ»[2].

وقد أشاع النصارىٰ واليهود والمخالفون أن الإسلام دين الوحشية، ودين الظلم، ودين يسعىٰ إلىٰ الاستمتاع بالنساء... إلىٰ غير ذلك من الإشاعات التي يتناولها المبطلون في كل وقت وحين.

ورحم الله الإمام ابن باز إذ يقول - وكنا نسمعها كثيرًا من شيخنا مقبل رحمه الله تعالىٰ -: لو استطاعوا أن يتهموا العَالِمَ أو الداعيَ إلىٰ الله بأنه يأتي أمه لفعلوا؛ تحذيرًا من دعوته.

ومن أمثلة ما أشاعوا عن الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالىٰ أنه يحرم حلب البقرة، ويحرم علىٰ المرأة أن تقطّع الخيار والجزر، وأنه ألف كتابًا بعنوان (الصواعق والبوارق في تحريم الأكل بالملاعق). انتهىٰ ملخصًا.

١٩- ومنها الإشادة بمن كان على طريقتهم وباطلهم؛ خيانة للناس وتغريرًا لهم:

فكم يطبِّلون للقرضاوي وعمرو خالد وغيرهم من البطَّالين الجاهلين.

٢٠- ومنها الوشاية بأهل الاستقامة والحق واستعداء السلطة عليهم:

قال الله عز وجل مخبرًا عن قوم فرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٨٣٢) من حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه.

وأساليب ووسائل المكر بالدين وحملته كثيرة جدًّا، ومتنوعة، يوحي شياطين الجن والإنس بعضهم إلىٰ بعض، كما قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

٢١- ومن أساليبهم: تسمية الباطل بأسماء ظاهرها عدمه:

هذا الاسلوب قديم جدًّا، فإن الشيطان أظهر باطله لآدم في صورة النصيحة، وعبّاد الأصنام والقبور والأوثان زعموا أن ذلك من التوسل إلىٰ الله عز وجل، وشُرَّاب الخمر سموه شراب روحي، وأصحاب الربا سموه فوائد، وكل مبطل يسمي باطله بما عساه يروج به، فأصحاب وحدة الاديان يسمون باطلهم تعايش، مواطنة، حوار حضارات، وهلم جرًّا، فانتبه لهذه المسميات.

٢٢- ومن أساليبهم: الصبر على تمرير شرهم:

وذلك أنهم يرضون باليسير من المخالفة ابتداءً، وقد قال شيخ الإسلام في «**اقتضاء الصراط المستقيم**» في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال:٣٦]: هم ينفقون الأموال الكثيرة لا ليترك المسلمون دينهم، ولكن ليتنازلوا عن بعض دينهم. بمعنىٰ كلامه.

٢٣- ومن أساليبهم: دعوتهم إلى الرفق:

قال الشيخ ربيع - حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَىٰ - كما في «**المجموع**» (١/ ٤٨٥-٤٨٦): الأصل في الدعوة اللين والرفق والرحمة، هذا هو الأصل فيها، فإذا وجدت من يعاند ولا يقبل الحق وتقيم عليه الحجة ويرفض فحينئذٍ تستخدم الرد.

وأن كنت سلطانًا - وهذا داعية - فتؤدبه بالسيف.

وقد يؤدي إلىٰ القتل إذا كان يصر علىٰ نشر الفساد. اهـ

وقال الشيخ يحيىٰ في «**الثوابت المنهجية**»: ص(١٦): دعوة التمييع بلباس الرفق، فتراهم يقولون الرفق الرفق الرفق، حتىٰ خالط المبتدعة، والآن معهم وضاع، كل

ذلك تحت إطار الرفق، يقول الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩]، وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨]، وقال: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر:٨] والحسرات التألم، فكيف بمن يذهب مع المبتدعة والذبذبة والتمييع علىٰ حساب أن هؤلاء يرفق بهم، نعم، الرفق مطلوب، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**» أخرجه مسلم (٢٥٩٣) عن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - .

هذه الأدلة علىٰ وجوب الرفق، لكن الناس غلوا في الرفق حتىٰ ماعوا، فتميع الإخوان المسلمين جعلهم مقلدين للنصارىٰ وجعلهم دعاة إلىٰ الكفار حذو القذة بالقذة، يدعون إلىٰ الانتخابات، والمظاهرات، ولباس الكفار، وأقوال الكفار، كل ذلك بدعوىٰ الرفق، تميع الإخوان جعلهم يتنازلون حتىٰ شاركت نساؤهم مواطن الاختلاط. اهـ

٢٤- ومن أساليبهم: الترغيب:

ففي تفسير ابن كثير في تفسير سورة فصلت، قال رحمه الله : قَالَ الإمام العالم عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي مُسْنَدِهِ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنِ الأجلح عن الزيال بْنِ حَرْمَلَةَ الْأَسَدِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْمًا فَقَالُوا انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكِهَانَةِ وَالشِّعْرِ فليأت هذا الرجل الذي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتَ أَمْرَنَا وَعَابَ دِينَنَا فَلْيُكَلِّمْهُ وَلْنَنْظُرْ مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ فَقَالُوا مَا نَعْلَمُ أَحَدًا

غَيْرَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، فَقَالُوا أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ فَأَتَاهُ عُتْبَةُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللهِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فقال أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فقال إن كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّىٰ نَسْمَعَ قَوْلَكَ، إِنَّا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ علىٰ قومك منك، فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتَّ أَمْرَنَا، وَعِبْتَ دِينَنَا وَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ، حَتَّىٰ لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا والله ما ننتظر إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةِ الْحُبْلَىٰ أَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا إِلَىٰ بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّىٰ نَتَفَانَىٰ، أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ جَمَعْنَا لَكَ حتىٰ تكون أغنىٰ قريش رجلا واحدا، وإن كان بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ شِئْتَ فَلْنُزَوِّجْكَ عَشْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَرَغْتَ» قَالَ نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ - حَتَّىٰ بَلَغَ - فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ فَقَالَ عُتْبَةُ حَسْبُكَ حسبك ما عندك غير هَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَا» فَرَجَعَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ فَقَالُوا مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَىٰ أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ بِهِ إِلَّا كَلَّمْتُهُ، قَالُوا فَهَلْ أَجَابَكَ؟ قَالَ لَا وَالَّذِي نَصَبَهَا بَنِيَّةً مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مما قاله غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وثمود، قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تَدْرِي مَا قَالَ؟ قَالَ لَا وَاللهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ.

وَهَكَذَا رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَىٰ الْمُوصِلِيُّ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ بِإِسْنَادِهِ مِثْلَهُ سَوَاءً، وَقَدْ سَاقَهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِسَنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ عَنِ الْأَجْلَحِ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ الْكِنْدِيُّ الْكُوفِيُّ وقد ضعف بعض الشيء عن الزيال بن حرملة عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنه فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَىٰ قَوْلِهِ: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ فَأَمْسَكَ عُتْبَةُ عَلَىٰ فِيهِ وَنَاشَدَهُ بِالرَّحِمِ وَرَجَعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَىٰ قُرَيْشٍ وَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَاللهِ مَا نَرَىٰ عُتْبَةَ إِلَّا قَدْ صَبَا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَعْجَبَهُ طَعَامُهُ وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ حاجة أَصَابَتْهُ فَانْطَلِقُوا بِنَا إِلَيْهِ فَانْطَلَقُوا إِلَيْهِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا عُتْبَةُ مَا حَبَسَكَ عَنَّا إلا أنك صبأت إلىٰ محمد

وأعجبك طعامه فإن كانت بك حَاجَةٌ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا يُغْنِيكَ عن طعام محمد، فغضب عتبة وأقسم أن لا يُكَلِّمَ مُحَمَّدًا أَبَدًا وَقَالَ وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا وَلَكِنِّي أَتَيْتُهُ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَأَجَابَنِي بِشَيْءٍ وَاللهِ مَا هُوَ بِشِعْرٍ وَلَا كِهَانَةٍ وَلَا سِحْرٍ وَقَرَأَ السورة إلىٰ قوله تعالىٰ: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ فَأَمْسَكْتُ بِفِيهِ وَنَاشَدْتُهُ بِالرَّحِمِ أَنْ يَكُفَّ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا قَالَ شَيْئًا لَمْ يَكْذِبْ فَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمُ الْعَذَابُ، وَهَذَا السِّيَاقُ أَشْبَهُ مِنْ سِيَاقِ الْبَزَّارِ وأبي يعلىٰ، والله تعالىٰ أَعْلَمُ.

وَقَدْ أَوْرَدَ هَذِهِ الْقِصَّةَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ فِي كِتَابِ السِّيرَةِ عَلَىٰ خِلَافِ هَذَا النَّمَطِ فَقَالَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: حُدِّثْتُ أَنْ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَكَانَ سَيِّدًا قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلَا أَقُومُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمَهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أمورا لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شَاءَ وَيَكُفَّ عَنَّا؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ رضي الله عنه وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ، فَقَالُوا بَلَىٰ يَا أَبَا الْوَلِيدِ فَقُمْ إِلَيْهِ فَكَلِّمْهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ منا حيث عَلِمْتَ مِنَ السِّطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرَّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفَّرْتَ بِهِ مَنْ مَضَىٰ مِنْ آبَائِهِمْ فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ**» قَالَ يَا ابْنَ أَخِي إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّىٰ تَكُونَ أكثرنا مالا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا حَتَّىٰ لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَئِيًّا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّىٰ نُبَرِّئَكَ مِنْهُ فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَىٰ الرَّجُلِ حَتَّىٰ يُدَاوَىٰ مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ قَالَ: «**أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟**» قَالَ نَعَمْ. قَالَ «**فَاسْتَمِعْ مِنِّي**» قَالَ أَفْعَلُ. قَالَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا وهو يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ. فَلَمَّا سَمِعَ عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا وَأَلْقَىٰ يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ منه حتىٰ انْتَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ السَّجْدَةِ مِنْهَا فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ «قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ فَأَنْتَ وَذَاكَ» فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لبعض نحلف بِاللهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ قَالَ وَرَائِي أني سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ وَاللهِ مَا هُوَ بِالسِّحْرِ وَلَا بِالشِّعْرِ وَلَا بِالْكِهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا لِي خَلُّوا بَيْنَ الرَّجُل وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فاعتزلوه فو الله لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأٌ، فَإِنْ تُصِبْهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَىٰ الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ. قَالُوا سَحَرَكَ وَاللهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ، قَالَ هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ.

وَهَذَا السِّيَاقُ أَشْبَهُ مِنَ الذي قبله، والله أعلم. اهـ

هذه الأسانيد لا تخلو من مقال، لكن يشهد بعضها لبعض.

٢٥- ومنها: الترهيب والبطش:

سواء بالسجن أو الضرب والإهانة، وقد كان لرسول الله ﷺ النصيب الأوفر من هذا الإيذاء؛ رفعًا لدرجته، وإعلاءً لمنزلته، ففي البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٧٩٤) واللفظ له، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُوجَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُوجَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَىٰ سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ، فَانْبَعَثَ أَشْقَىٰ الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّىٰ انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ - وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ - فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَىٰ النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ

قَالَ: «اللهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحْكُ وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ»، وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ.

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها في البخاري (٣٠٩٥)، ومسلم (١٧٩٥) واللفظ له، أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ؟» فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

ومنها ما أخرجه البخاري (٣٥٢٢) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ، فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقُلْتُ : لِأَخِي انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ فَانْطَلَقَ فَلَقِيَهُ ثُمَّ رَجَعَ، فَقُلْتُ : مَا عِنْدَكَ؟، فَقَالَ : وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ، فَقُلْتُ لَهُ : لَمْ تَشْفِنِي مِنَ الْخَبَرِ فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصًا ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَأَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ : فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ : كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ، قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ، قَالَ : فَانْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ، قَالَ : فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلَا أُخْبِرُهُ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ لِأَسْأَلَ عَنْهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ، قَالَ : فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ : أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا، قَالَ : انْطَلِقْ

مَعِي، قَالَ : فَقَالَ : مَا أَمْرُكَ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلْدَةَ، قَالَ : قُلْتُ لَهُ : إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ، قَالَ : فَإِنِّي أَفْعَلُ، قَالَ : قُلْتُ لَهُ : بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَا هُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِي مِنَ الْخَبَرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشَدْتَ هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ فَاتَّبِعْنِي ادْخُلْ حَيْثُ أَدْخُلُ فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ قُمْتُ إِلَى الْحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي وَامْضِ أَنْتَ فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ : اعْرِضْ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي، فَقَالَ لِي : «**يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ**»، فَقُلْتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا : قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ : وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ فَأَقْلَعُوا عَنِّي فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَدَ رَجَعْتُ، فَقُلْتُ : مِثْلَ مَا، قُلْتُ : بِالْأَمْسِ، فَقَالُوا : قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالْأَمْسِ وَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ : مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ، قَالَ : فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللهُ.

٢٦- نبز المؤمنين والمستقيمين بما ينفر عنهم:

فيسمون المسلم بالصابئ، ففي «السيرة» لابن إسحاق صـ(١٦٤) قال: حدثني نافع عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر بن الخطاب قال: أي أهل مكة أنقل للحديث؟ قالوا: جميل بن معمر الجمحي، فخرج عمر، وخرجت وراء أبي وأنا غليم أعقل كلما رأيت، حتىٰ أتاه، فقال: يا جميل هل علمت أني أسلمت؟ فو الله ما راجعه الكلام حتىٰ قام يجر رداءه، وخرج عمر معه، وأنا مع أبي، حتىٰ إذا قام علىٰ باب المسجد الكعبة صرخ بأعلىٰ صوته: يا معشر قريش إن عمر قد صبا، فقال عمر: كذبت ولكني أسلمت، فبادروه فقاتلهم وقاتلوه حتىٰ قامت الشمس علىٰ رءوسهم وبلّح، فجلس وعرشوا علىٰ رأسه قيامًا وهو يقول: اصنعوا ما بدا لكم، فأقسم بالله لو

قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركتموها لنا أو تركناها لكم، فبينا هم علىٰ ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبره وقميص قومسي، فقال: مه؟ فقالوا: خيرًا، عمر بن الخطاب صبأ، فقال فمه؟! رجل اختار لنفسه دينًا أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم؟! هكذا عن الرجل، فوالله لكأنها كان ثوب كشف عنه، فلما قدمنا المدينة قلت: يا أبة من الرجل صاحب الحلة الذي صرف القوم عنك؟ قال: ذاك العاص بن وائل السهمي.

ومنها: الزعم بأن صاحب الحق مريض من مس أو نحوه. ففي مسلم (٨٦٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ : إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ : لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَىٰ يَدَيَّ، قَالَ : فَلَقِيَهُ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَىٰ يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ**»، قَالَ : فَقَالَ : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ : فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ، قَالَ : فَقَالَ : هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، قَالَ : فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَعَلَىٰ قَوْمِكَ**»، قَالَ : وَعَلَىٰ قَوْمِي، قَالَ : فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ : هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ رُدُّوهَا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ.

ولهذا ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي رحمه الله في «**مسائل الجاهلية**»: تلقيب أهل الهدىٰ بالصباة والحشوية.

٢٧- ومن أساليبهم: الشتم لأهل الحق والاستقامة:

ففي البخاري (٤٤٤٥)، ومسلم (٤٤٦)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ :﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، قَالَ: نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ

ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، كَانَ إِذَا صَلَّىٰ بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ، وَمَنْ أَنْزَلَهُ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أَيْ: بِقِرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ، فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ، فَلَا تُسْمِعُهُمْ، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

وفي البخاري (٣٣٤٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟! يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ**». هذه إشارة. وإلا فالمجال أوسع من هذا في هذه الأيام لنبز أهل السنة الأثبات بأنهم وهابيون أو جاميون أو مدخليون؛ تنفيرًا عن طريقهم، ومكرًا بهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وبهذا القدر أكتفي، وغلا فوسائلهم كثيرة التي يتصدون بها للحق وأهله، وإن ربك لبالمرصاد، وقد صُنف في هذا الباب مصنف موسع، لكن كانت خطبتي سابقة للإطلاع عليه، فأحببت أن أدلوَ بدلوي، وأن أساهم بجهدي، وأسأل الله عز وجل أن يصلح شأني وديني، وأن يغفر لي ولوالدي ولمشايخي، والحمد لله رب العالمين.

المحتويات

مقدمة.....٣

دين الإسلام حق بين باطلين وهدى بين ضلالتين ٤

الأمر بلزوم الجماعة والاتباع، والنهي عن الفرقة والابتداع ١٤

باب بيان أن سبب الاختلاف والافتراق هو الأخذ بسنن المتقدمين من اليهود والنصارى مع بيان غيرها من الأسباب.....١٧

باب الحث على لزوم السنة.....٢١

أصناف المخالفين لمنهج السلف وطريقة أهل الاستقامة ٢٣

أساليب الصادين عن حملة العلم والدين ٢٥

١- المكر والكيد:.....٢٥

٢-الخداع: ٢٧

٣- ومن أساليبهم: الخيانة: ٢٨

٤- ومن أساليبهم: الكذب والتكذيب: ٣٨

٥- ومنها التلون:.....٣٩

٦- ومن أساليبهم: الغدر: ٤٠

٧- ومن أساليبهم: الغش:.....٤٠

٨- ومنها : التغرير:.....٤٠

٩- المجادلة بالباطل: ٤١

١٠- ليس الحق بالباطل وكتم الحق: ٤١

١١ – التفريق بين المؤمنين أهل الاستقامة: ٤١
١٢ – السِّرِّيَّة: ٤٢
١٣ – إثارة النعرات القبلية: ٤٢
١٤ – الجمعيات: ٤٢
١٥ – ومن أساليبهم الماكرة : إنشاء الحزبيات: ٤٣
١٦ – ومن أساليبهم: إنشاء المؤتمرات: ٤٣
١٧ – بذل الأموال: ٤٤
١٨ – ومنها التشكيك في نيات الدعاة إلى الله عز وجل ومناهجم: ٤٤
١٩ – ومنها الإشادة بمن كان على طريقتهم وباطلهم؛ خيانة للناس وتغريرًا لهم: ... ٥٦
٢٠ – ومنها الوشاية بأهل الاستقامة والحق واستعداء السلطة عليهم: ٥٦
٢١ – ومن أساليبهم: تسمية الباطل بأسماء ظاهرها عدمه: ٥٧
٢٢ – ومن أساليبهم: الصبر على تمرير شرهم: ٥٧
٢٣ – ومن أساليبهم: دعوتهم إلى الرفق: ٥٧
٢٤ – ومن أساليبهم: الترغيب: ٥٨
٢٥ – ومنها: الترهيب والبطش: ٦١
٢٦ – نبز المؤمنين والمستقيمين بما ينفر عنهم: ٦٣
٢٧ – ومن أساليبهم: الشتم لأهل الحق والاستقامة: ٦٤
المحتويات ٦٦